المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2206) - السنة (56) صفر 1447هـ / أغسطس 2025م

الثقافة الإسلامية وتعزيز الصمود والمقاومة

غزة

متى تُطعم من جوع وتأمن من خوف؟!

الكويت 750 فلساً. السعودية 10 ريالات. البحرين دينار بحريني. قطر 10 ريالات. سلطنة عمان ريال عماني. الأردن 1.750 دينار أردني. لبنان 4500 ليرة. المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

ENGLISH SITE

الموقع عربي

بوابة أرشيف
المجتمع

بوابة الإستشارات
الإلكترونية

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
تأسست عام 1970
AL-MUJTAMA
SINCE 1970

الأعداد الورقية والإصدارات

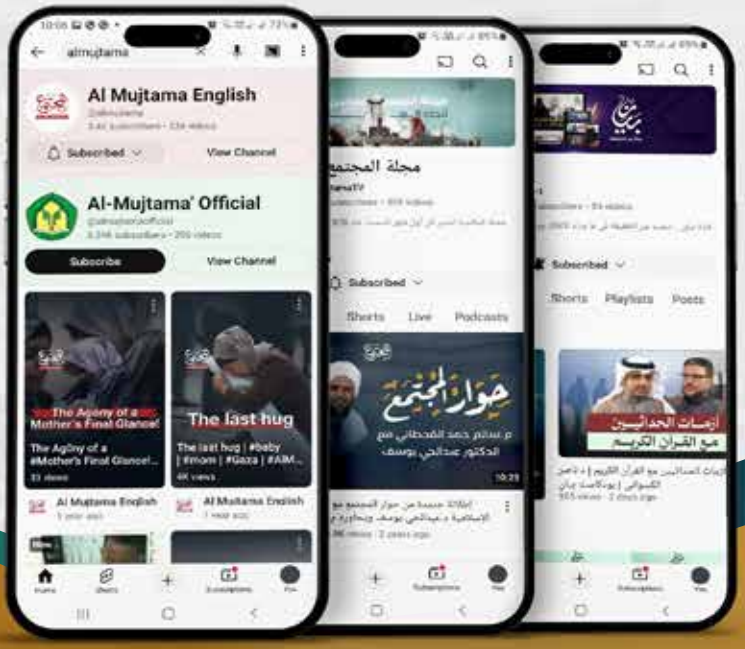

منصات
PLATFORMS

العدد (٢٢٠٦) - السنة (٥٦)

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

إسلامية شهرية

تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم القحطاني

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير

٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩

٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

في هذا العدد:

الثقافة الإسلامية.. وتعزيز الصمود والمقاومة

8 «الأيزو» شهادة عالمية تترجم قيم «الإصلاح» الإسلامية إلى ممارسات مؤسسية راقية

12 دور الثقافة في تعزيز الصمود والمقاومة

18 كيف تهدد الحروب السيبرانية الخصوصية الثقافية للمجتمعات الإسلامية؟

22 البراء الثقافي خطوة نحو التحرر الحقيقي

30 أمعاء خاوية وضمائر نائمة.. غزة تتضور جوعاً!

35 كاريكاتير المجتمع

40 الأحكام الفقهية المتعلقة بالاستفادة من المساعدات الصهيونية الأمريكية

42 الأكاديمي السوري عرابي عبدالحي يكشف تفاصيل مخطط مليشيات السويداء

47 طفل هندي يخط المصحف كاملاً بيده.. إنجاز فريد من ولاية كيرالا

62 كيف نستمتع بتربية أولادنا؟ (1)

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

سورة الإسراء

رأي المجتمع

الثقافة بالعالم الإسلامي.. ولادة جديدة

في ظل ما يشهده العالم اليوم من تحوّلات كبرى، وصراعات فكرية، وتقلبات سياسية واقتصادية متسارعة، تبرز الحاجة الملحة لإعادة النظر في مستقبل الثقافة في العالم الإسلامي، فالثقافة ليست ترفاً فكرياً ولا نشاطاً هامشياً، بل هي جوهر الهوية، وروح الأمة، ومصدر قوتها الناعمة في وجه محاولات الهيمنة والذوبان، فقد أضحت الثقافة في عصر العولمة والرقمنة ميداناً للتدافع الحضاري، وأداة لصياغة العقول وتشكيل الوجدان.

وفي خضمّ تسارع وتيرة التطبيع بين بعض الدول العربية والكيان الصهيوني، يبرز خطر الاختراق الثقافي ومحاولة فرض «أجندة» صهيونية على المجتمعات الإسلامية، فليس التطبيع مجرد علاقات دبلوماسية أو اتفاقيات اقتصادية، بل هو بوابة لإعادة تشكيل الوعي الجمعي، والتأثير على الهوية، وإعادة صياغة الرواية التاريخية للصراع العربي الإسلامي مع الاحتلال.

إنّ المشروع الصهيوني لم يتوقف عند حدّ اغتصاب الأرض، بل امتدّ ليغزو الفكر والعقل، مستخدماً أدوات الإعلام، والتعليم، والفن، والترجمة، بل وحتى المناهج الدراسية، في الدول التي طبّعت أو تلك التي يُمهَّد فيها للتطبيع، يُراد للأجيال القادمة أن تنشأ على رؤية مشوّهة للصهيونية، تتجاهل جرائم الاحتلال، وتسوّق لها كدولة متحضرة، وتسحب من قلوب الناشئة روح النصرة لفلسطين والقدس.

وفي هذا السياق، فإن المثقفين والعلماء والمؤسسات الإسلامية مطالبون بالوقوف سداً منيعاً في وجه هذا التغريب القسري، والتزييف المتعمّد للوعي، والعمل على ترسيخ الثوابت العقدية والتاريخية، وتنمية الوعي بحقيقة المشروع الصهيوني الذي لا يستهدف فلسطين وحدها، بل يستهدف الأمة بكاملها؛ أرضاً، وهوية، وثقافة.

إن مستقبل الثقافة في العالم الإسلامي يتوقف على مجموعة من العوامل المفصلية، أهمها الوعي بالهوية الحضارية، وإصلاح المؤسسة التعليمية والإعلامية، والاستثمار في الإبداع والابتكار، وجهود العلماء والمفكرين والمؤسسات الثقافية.

فالثقافة الإسلامية ليست مجرد موروث تقليدي، بل منظومة متكاملة من القيم والعلوم والفنون التي أسهمت في نهضة الإنسانية يوماً ما، واستعادة هذا الدور يبدأ من الاعتزاز بالذات الحضارية وتحصين الأجيال من الانبهار الأعمى بالآخر، وإصلاح المؤسسة التعليمية والإعلامية، وإعادة النظر في المناهج وأساليب التعليم، وإطلاق مبادرات إعلامية هادفة تنتج خطاباً معرفياً إسلامياً معاصراً، يعالج قضايا الإنسان المسلم من منطلقات شرعية وعقلية راشدة، والانطلاق في التجديد المشروع والاجتهاد المنضبط، ودعم الأدب، والفن، والسينما، والتقنية، ضمن أطر قيمية، لبناء ثقافة مؤثرة وجذابة تنافس الثقافات الأخرى.■

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩

قطر:
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠

البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣

TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

التشجير الكويتي..
استدامة بيئية تدر أرباحاً اقتصادية

تقرير- د. هبة جمال:

تواجه الكويت تحديات بيئية جسيمة تفرض علينا إعادة النظر في مفهوم التشجير، ففي بلد تصل فيه درجات الحرارة صيفاً إلى ٥٠°م، وتسقط فيه أمطار لا تتجاوز ١٢٠ ملم سنوياً، لم يعد التشجير مجرد مسألة بيئية ثانوية، بل تحول إلى ضرورة إستراتيجية حيوية ترتبط مباشرة بالأمن المائي والغذائي، وجودة الحياة التي ينشدها الجميع[١].

وهنا يبرز الجانب الديني، فيتجلى في الحديث النبوي الشريف دلالة عميقة تُظهر أهمية الزراعة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن قامت السَّاعةُ وفي يدِ أحدكم فسيلةٌ، فإن استطاعَ أن لا تقومَ حتَّى يغرسَها فليغرسْها»[٢]، فهو لا يبرز فقط المكانة السامية للزراعة في الإسلام، بل يقدم رسالة خالدة، فحواها: أن العطاء والبناء واجب علينا حتى في أحلك الظروف وأصعب اللحظات وأشدها رهبة، هذه الروح نفسها هي ما نحتاجها اليوم لمواجهة التحديات البيئية التي تعصف بنا.

إن التشجير في البيئات الصحراوية يمكن أن يحقق عوائد اقتصادية معتبرة[٣]، كمشروع تشجير صباح الأحمد بتكلفة ٢٨,٥ مليون دينار (طبقًا لـ«وكالة الأنباء الكويتية») وعوائدها المباشرة المتمثلة في فرص العمل، وتوفير الطاقة، وهذا ما يجعل التشجير في الكويت ليس مجرد مشروع بيئي، وإنما استثمار اقتصادي واعد بشرط التخطيط العلمي والتنفيذ المستدام.

الواقع البيئي في الكويت بين التحديات والفرص:

١- التحديات البيئية الراهنة:

تعاني الكويت من مجموعة متشابكة من التحديات البيئية التي تجعل من التشجير حلاً إستراتيجياً، منها:

- ندرة المياه: حيث يبلغ استهلاك المياه للري حوالي ٣٠٠ مليون جالون يومياً، في بلد يعتمد بشكل كبير على تحلية المياه[٤]، وارتفاع درجات الحرارة: مع تأثيرات الارتفاع الحراري في التجمعات العمرانية التي تزيد من استهلاك الطاقة للتبريد، والتصحر: حيث تتعرض التربة للتدهور والانجراف بفعل الرياح والعواصف الرملية، والملوحة العالية: في كل من التربة والمياه الجوفية؛ ما يحد من خيارات التشجير.

٢- المؤشرات البيئية الصادمة:

إن المساحات الخضراء في الكويت لا تتجاوز ٣% من إجمالي مساحة البلاد، وهي نسبة متدنية مقارنة بالمعدلات العالمية، كما أن الكويت تحتل مرتبة متقدمة عالمياً في استهلاك المياه للفرد، حيث يبلغ حوالي ١٠٠ جالون إمبراطوري يومياً؛ ما يشكل ضغطاً كبيراً على الموارد المائية الشحيحة أصلاً[٥]، كما تم خفض ميزانية الزراعة التجميلية بنسبة ٦٠%[٦]، وهو عامل مهم قد يعيق تحقيق الرؤية المستقبلية

الجدوى الاقتصادية للتشجير

أولاً: العوائد الاقتصادية المباشرة:

يمكن للتشجير في الكويت أن يحقق عوائد اقتصادية كبيرة عبر عدة مسارات، مثل:

١- المنتجات الشجرية: كالتمور من أشجار النخيل التي تتحمل الملوحة، أو ثمار التين الشوكي التي تصلح للتسويق، أو أشجار الأراك المستخدمة في السواك.

٢- الطاقة الحيوية: من خلال أشجار مثل الجاتروفا التي تنتج بذوراً لصناعة الوقود الحيوي.

٣- السياحة البيئية: عبر إنشاء واحات خضراء وجذب السياح، كما في نموذج «الغابة الصحراوية» بالإمارات.

٤- توفير الطاقة: حيث تخفض الأشجار درجات الحرارة المحيطة ٢-٨°م تقريباً؛ ما يقلل فواتير التبريد.

ثانيًا: النماذج الناجحة محلياً:

برزت في الكويت بعض النماذج الواعدة التي تثبت جدوى التشجير اقتصادياً:

١- مشروع غابة الصليبية: ساهم في خفض استهلاك الطاقة بنسبة ٢٠% في المناطق المحيطة، ووفر العديد من فرص العمل[٧].

٢- حديقة الشهيد: بمساحة خضراء تبلغ حوالي ٢٣٠,٠٠٠ م^2، أدت إلى زيادة قيمة العقارات المجاورة بنسبة ٣٠%.

أنواع الأشجار المناسبة.. بين الأصالة والابتكار:

أولاً: الأشجار المحلية المتأقلمة:

تمتلك الكويت تراثاً نباتياً فريداً من الأشجار التي تكيفت مع الظروف القاسية عبر القرون، ومن أبرزها:

١- الغاف: تستهلك ماءً أقل بحوالي ٤٠% من غيرها، وتثبت التربة وتوفر ظلاً وافراً.

٢- المرخ: مثالية لتثبيت الكثبان الرملية والوقاية من التصحر.

٣- الأرطى: تتحمل الملوحة العالية ويمكن استخدامها كوقود أو علف.

ثانياً: الأشجار المستقدمة المختارة:

١- النيم: مقاوم للآفات ويوفر ظلاً كثيفاً.

٢- الأكاسيا بأنواعها: السمر منها تستخدم لتثبيت التربة، والسنط المصري تزرع كأشجار ظل أو للزينة، أما الطلح فسريع النمو ويصلح كمصدات للرياح.

٣- الكاتورفا: لإنتاج الوقود الحيوي من أراضٍ فقيرة.

٤- الأراك: تمتص الملوحة ولها استخدامات طبية وتقليدية.

الحلول المبتكرة للتغلب على التحديات:

أولاً: إدارة الموارد المائية، في بلد يعاني من شح المياه، تبرز الحلول التالية:

١- الري بالتنقيط باستخدام المياه المعالجة؛ لترشيد الاستهلاك.

٢- الري باستخدام الذكاء الاصطناعي؛ لتحقيق الاستدامة الزراعية وحماية الموارد المائية.

٣- أجهزة استشعار رطوبة التربة؛ للري الذكي حسب الحاجة الفعلية.

٤- الزراعة المائية: وتصلح في المناطق الحضرية لترشيد المياه.

ثانياً: تحسين التربة: وذلك عن طريق التغطية، للحفاظ على رطوبة التربة والتقليل من التبخر، وإضافة الكمبوست، لتحسين خصوبة التربة الرملية، وزراعة الأحزمة الخضراء الشجرية، التي تعمل كمصدات طبيعية ضد العواصف الرملية.

الرؤية المستقبلية.. توصيات إستراتيجية مقترحة:

لتحقيق قفزة نوعية في التشجير بالكويت، تُقْتَرح الإجراءات التالية:

١- إنشاء صندوق وطني للتشجير.

٢- اعتماد تقنيات الزراعة العمودية في المناطق الحضرية لتعظيم المساحات الخضراء.

٣- تطوير تشريعات محفزة للقطاع الخاص للاستثمار في التشجير.

٤- إطلاق حملات توعية؛ لتعزيز المشاركة المجتمعية في المبادرات الخضراء.

٥- الشراكات بين القطاعين العام والخاص عبر نماذج مثل «BOT» البناء، التشغيل، التحويل.

نحو كويت خضراء مستدامة:

التشجير في الكويت ليس ترفاً بيئياً، وإنما استثمار ذكي يحقق أرباحاً مالية وصحية واجتماعية، مع التخطيط العلمي والاستفادة من التقنيات الحديثة، يمكن تحويل ١٥٪ من مساحة الكويت إلى مناطق خضراء بحلول عام ٢٠٣٥م؛ ما يسهم في:

١- خفض درجات الحرارة ٣-٥ درجات في المناطق الحضرية.

٢- توفير ما يربو على ٣٠ مليون دينار كويتي سنوياً من فواتير الطاقة.

٣- خلق نحو ٥ آلاف فرصة عمل جديدة.

هذه الرؤية الطموحة تتطلب تضافر جهود جميع الجهات المعنية (الحكومة، القطاع الخاص، المجتمع المدني) لتحويل التحديات البيئية إلى فرص اقتصادية، والاستفادة المثلى من الموارد المتاحة لبناء مستقبل أكثر اخضراراً وازدهاراً للكويت.■

المراجع

(١) الهيئة العامة للزراعة والثروة السمكية، تقرير المساحات الخضراء، ٢٠٢٣.

(٢) رواه أحمد في المسند (١٢٩٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٣) منظمة الأغذية والزراعة (FAO)، دراسة جدوى التشجير في المناطق الجافة.

(٤) وزارة الكهرباء والماء، إحصاءات استهلاك المياه.

(٥) فهد الظفيري، تحديات إدارة المياه في الكويت، الجريدة.

(٦) محمد جاسم، خفض ميزانية مشاريع الزراعة يعيق التخضير، الجريدة، ١٣/ ١٠/ ٢٠٢٠.

(٧) منظمة الفاو، تقرير حالة الغابات في العالم ٢٠٢٢.

مدير العلاقات العامة بجمعية الإصلاح الاجتماعي عبدالرحمن الشطي لـ«المجتمع»:

«الأيزو» شهادة عالمية تترجم قيم «الإصلاح» الإسلامية إلى ممارسات مؤسسية راقية

في حوار لـ«المجتمع» مع عبدالرحمن الشطي، مدير إدارة العلاقات العامة بجمعية الإصلاح الاجتماعي، كشف لنا ملامح التميز المؤسسي الذي تحققه الجمعية يوماً بعد يوم؛ من شهادة «الأيزو» إلى الريادة المجتمعية، ومن ترسيخ الحوكمة إلى توسيع نطاق العمل الإنساني عالمياً، يحدثنا الشطي عن أسرار النجاح الذي لم يأتِ مصادفة، بل كان ثمرة تخطيط، وإتقان، وإيمان عميق برسالة الخير.

خاص - «المجتمع»:

● **ماذا تعني شهادة «الأيزو» التي حصلت عليها جمعية الإصلاح الاجتماعي؟ وكيف تعكس التزام الجمعية بمعايير الجودة والحوكمة الحديثة؟**

- شهادة «الأيزو» التي حصلت عليها جمعية الإصلاح الاجتماعي تُعد علامة فارقة في مسيرتها المؤسسية، لأنها لم تأتِ جزافاً، بل جاءت ثمرة لجهود متراكمة من التخطيط، والحوكمة، وتبني معايير الجودة الشاملة في مختلف قطاعاتها، فهي شهادة عالمية تثبت أن الجمعية تواكب المؤسسات الكبرى في منهجيات عملها وإدارتها وبرامجها.

وتعكس هذه الشهادة التزام الجمعية بمبادئ الحوكمة الحديثة؛ من شفافية وعدالة ومساءلة وكفاءة؛ ما يعزز أداءها المؤسسي ويجعلها أكثر قدرة على تحقيق أهدافها الإستراتيجية في خدمة المجتمع، كما تؤكد أن رسالتها الدعوية والإنسانية تُدار وفق أنظمة مؤسسية دقيقة، لا تخضع للارتجال أو الاجتهاد الشخصي.

وفي الوقت ذاته، تعتبر هذه الشهادة مصدرٍ فخر لكل منتسب للجمعية وللكويت عموماً؛ لأنها تترجم القيم الإسلامية الأصيلة التي تدعو إلى الإتقان والجودة إلى ممارسات إدارية واقعية، وتثبت أن

«الأيزو» علامة فارقة في مسيرة «الإصلاح الاجتماعي» وذلك ثمرة جهود متراكمة من التخطيط والحوكمة

ريادة «الإصلاح» تكمن في وضوح رؤيتها التي جمعت بين الدعوة والعمل الخيري والإنساني والاجتماعي

العمل الخيري الكويتي قادر على الجمع بين الأصالة والمعاصرة لتحقيق الريادة والتميز.

● **كيف ستسهم شهادة «الأيزو» في تعزيز الثقة المجتمعية والمانحين برسالة الجمعية ومشاريعها الخيرية والإنسانية؟**

- شهادة «الأيزو» تمنح المجتمع والمانحين الثقة المطلقة في أن جمعية الإصلاح الاجتماعي تُدار باحترافية عالية، وفق نظم إدارية واضحة ومعايير دولية؛ ما يضمن أن كل تبرع يصل إلى مستحقيه بأعلى درجات النزاهة والشفافية، وهو ما يبحث عنه الداعمون اليوم في بيئة العمل الخيري التنافسية.

كما تُبرز هذه الشهادة أن الجمعية لا تكتفي بالنوايا الطيبة، بل تنقلها إلى خطط تنفيذية دقيقة ومراقبة، بما يعزز صورة العمل الخيري الكويتي عالمياً، فهي بمثابة صك اعتماد يفتح آفاق التعاون

جمعية الإصلاح الاجتماعي تحصل على شهادة «الأيزو» (ISO 9001 2025)

د. خالد المذكور

حصلت جمعية الإصلاح الاجتماعي على شهادة «الأيزو» في الجودة الإدارية رقم (ISO 9001 2025).

وأكد رئيس مجلس إدارة الجمعية د. خالد مذكور المذكور أن هذا الإنجاز والحصول على هذه الشهادة الرفيعة هو بتوفيق المولى سبحانه وتعالى أولاً، ثم ثمرة جهود دؤوبة، ورؤية واعية، والتزام حقيقي بثقافة الجودة والإحسان، والتميّز المؤسسي لدى المسؤولين وكافة العاملين في جمعية الإصلاح الاجتماعي.

وأضاف: المسلم مطالب بإتقان كلّ عمل يقوم به ويؤديه، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله تعالى يُحبُّ إذا عمِل أحدُكمْ عملاً أنْ يُتقنَه» (رواه البيهقي)، والإتقان يتعلق بالمهارات التي يكتسبها الإنسان، بينما الإحسان قوة داخلية تتربّى في كيان المسلم، وتتعلق في ضميره.

وبيّن المذكور أن جمعية الإصلاح الاجتماعي حققت خلال مسيرتها نتائج طيبة وإنجازات رائدة في المجالات التربوية والشرعية والدعوية والثقافية والاجتماعية والخيرية، واستحقت الحصول على أكثر من ١٨ جائزة محلية ودولية في العمل الاجتماعي والخيري وخدمة القرآن الكريم، ونالت تكريم العديد من المؤسسات المحلية والإقليمية والدولية.

ومن جانبه، بارك الأمين العام لجمعية الإصلاح الاجتماعي حمد العلي لكل العاملين في الجمعية حصولها على شهادة «الأيزو»، مؤكداً أن نيل هذه الشهادة الدولية الرفيعة ليس مجرد اعتراف خارجي بالكفاءة، بل هو انعكاس لروح الفريق الواحد، واحترافية الأداء، والحرص الدائم على تطوير العمليات والتحول الرقمي، وتحقيق أعلى مستويات الرضا؛ الأمر الذي أثبت أن التميّز

حمد العلي

لا يُصنع صدفة، بل يُبنى بإرادة قيادية، وإصرار جماعي، ونهج متكامل يضع الجودة في قلب كل ممارسة.

وتوجه العلي بالشكر والعرفان إلى مكتب التخطيط بالجمعية على جهوده المباركة في تحقيق الجودة المؤسسية، وكافة أعضاء الفريق الذي يسّر للجمعية الحصول على هذه الشهادة المميزة.

مع المنظمات الدولية والهيئات المانحة الكبرى التي تضع معايير الجودة شرطاً أساسياً للشراكة.

وتجدد هذه الثقة المجتمعية في رسالة الجمعية، خاصة أنها تنطلق من قيم الدين الإسلامي الوسطية والرحيمة، وتترجمها إلى مشاريع إنسانية تخدم الإنسان في كل مكان؛ وهو ما يجعل شهادة «الأيزو» حافزاً إضافياً للمجتمع الكويتي لمواصلة دعم هذه المسيرة المباركة دون تردد.

● هل هناك خطط مستقبلية للحصول على شهادات اعتماد أو تميز مؤسسي أخرى تواكب تطلعاتكم الإستراتيجية؟

– بطبيعة الحال، لا تتوقف طموحات جمعية الإصلاح الاجتماعي عند حدود شهادة واحدة، بل تسعى دائماً إلى التميز المستدام؛ لذلك، وضعت ضمن خططها الإستراتيجية العمل على الحصول على المزيد من شهادات الجودة والاعتماد المؤسسي، سواء على المستوى الإداري أو في المجالات الفنية التخصصية لقطاعاتها المتنوعة.

حصول «الإصلاح» على «الأيزو» يبعث برسالة واضحة إلى جميع الجهات المانحة أنها شريك جدير بالثقة

وتسعى الجمعية إلى تبني معايير ومؤشرات تقييم عالمية جديدة، سواء في إدارة الأخطار أو الاستدامة المؤسسية أو الحوكمة الشاملة، بما يتماشى مع رؤية الكويت التنموية والمكانة العالمية التي تتطلع إليها في مجال العمل الخيري والإنساني والتربوي.

كما أن هذه الشهادات ليست غاية بحد ذاتها، بل وسيلة لضمان تحسين جودة الخدمات المقدمة، وتعزيز الكفاءة التشغيلية، وتحقيق رضا المتبرعين والمستفيدين على حد سواء، لتظل الجمعية نموذجاً وطنياً يحتذى به في الريادة المؤسسية محلياً وعالمياً.

● برأيكم، ما الذي يجعل جمعية الإصلاح الاجتماعي اليوم رائدة بين مؤسسات المجتمع المدني في الكويت؟

– تكمن ريادة جمعية الإصلاح الاجتماعي في وضوح رؤيتها التي جمعت بين الدعوة الإسلامية والعمل الخيري والإنساني والاجتماعي في آنٍ واحد، لتصوغ بذلك مشروعاً حضارياً متكاملاً يهتم بالفرد والأسرة والمجتمع، ويربي النفوس على القيم الأصيلة، مع الاستجابة لاحتياجات الناس المعيشية والإنسانية.

كما تتميز الجمعية بهيكل إداري مرن ومؤسسي متكامل، يضم قطاعات تخصصية لكل شريحة من شرائح المجتمع، ويمتلك القدرة على التخطيط والتنفيذ والقياس والتقويم؛ ما يضمن تحقيق أهدافها بكفاءة عالية، إضافة إلى ذلك، فإن تاريخها الطويل وحضورها الفاعل عززا ثقة المجتمع بها عبر العقود.

ولا يمكن إغفال روحها التطويرية المستمرة، حيث تتبنى أحدث النظم والمعايير الإدارية العالمية دون التخلي عن هويتها الإسلامية؛ ما جعلها نموذجاً للجمع بين الأصالة والتجديد، وهو ما تحتاجه مؤسسات المجتمع المدني اليوم لتحقيق الريادة والاستدامة والتأثير الحقيقي.

● كيف ساهمت هيكلية الجمعية المتخصصة (قطاع النشء، أمانة العمل الاجتماعي، نماء الخيرية) في تحقيق هذا التميز المؤسسي؟

– لقد أسهمت هيكلية الجمعية في توزيع المهام والأدوار بوضوح، حيث ركز قطاع النشء والصحبة الصالحة على بناء الأجيال وتربيتهم على القيم الأصيلة والقدوة الحسنة؛ ما يخلق قاعدة شبابية فاعلة قادرة على مواصلة المسيرة وتحمل المسؤولية المجتمعية.

أما أمانة العمل الاجتماعي والعمل النسائي، فقد وسعت من نطاق العمل الخيري والدعوي، ومدت جسور التعاون مع مختلف شرائح المجتمع، خاصة النساء اللاتي يمثلن نصف المجتمع وقلب الأسرة النابض؛ وهو ما عزز حضور الجمعية وأثرها التربوي والإنساني في البيوت والمجتمع عامة.

وفي المقابل، جاءت نماء الخيرية كذراع إنسانية وتنموية قوية، نقلت رسالة الجمعية إلى ميادين العطاء الإغاثي والتنموي محلياً وعالمياً؛ ما جعلها تحقق التصنيفات العالمية المرموقة، فأكملت الهيكلية صورة التميز المؤسسي الشامل الذي يجمع بين التربية والدعوة والتنمية المستدامة.

.. وتعزيز مكانة الكويت الدبلوماسية والإنسانية حيث تصبح الجمعيات الكويتية سفيرة لقيم الرحمة والإتقان

«الإصلاح» تضع خدمة الإنسان في مقدمة أولوياتها وفق قيم الدين الإسلامي ومعايير الإدارة العالمية الحديثة

● حصلت «نماء الخيرية» أيضاً على «الأيزو» في عام ٢٠٢٣م، كيف ترى تميز الجمعية من هذا الجانب؟

– حصول «نماء الخيرية» على شهادة «الأيزو» منذ عام ٢٠٢٣م يؤكد أنها سبقت العديد من المؤسسات في تبني معايير الجودة الشاملة مبكراً؛ ما منحها القدرة على بناء مشاريعها وبرامجها وفق نظم إدارية دقيقة وفاعلة، وجعلها مثالاً يحتذى به في قطاع العمل الإنساني والخيري.

ويبرز هذا التميز من خلال ما حققته نماء من نجاحات ميدانية ملموسة، مثل وصولها إلى مناطق الأزمات بسرعة وكفاءة، وتنفيذها مشاريع نوعية ذات أثر مستدام، بدءاً من كفالة الأيتام وتعليمهم، وصولاً إلى دعم مشاريع الأسر المنتجة وتنمية المجتمعات الفقيرة حول العالم.

كما أن حصول نماء على «الأيزو» يُظهر ثقافة الجودة الراسخة في الجمعية الأم (الإصلاح الاجتماعي)، ويؤكد أن التميز المؤسسي لديها نهج ثابت لا يرتبط بشهادات مرحلية، بل يُترجم إلى ممارسات إدارية وميدانية تعكس قيم الإتقان والإحسان التي يدعو إليها ديننا الحنيف.

● برأيكم، كيف يمكن لمعايير الجودة والحوكمة أن تسهم في بناء صورة إيجابية عن العمل الخيري الكويتي عالمياً؟

– تطبيق معايير الجودة والحوكمة الرشيدة في الجمعيات الخيرية يرفع من مصداقيتها أمام العالم، لأنها تُظهر أن العمل الخيري الكويتي لا يعتمد فقط على العطاء المادي، بل يمتلك أيضاً أنظمة مؤسسية قوية تضمن وصول المساعدات بأعلى درجات النزاهة والكفاءة.

كما تعزز هذه المعايير ثقة المنظمات الدولية والهيئات الأممية؛ ما يفتح المجال أمام العمل الخيري الكويتي للانتشار عالمياً، وإبرام الشراكات مع الجهات الكبرى، ونقل الصورة الحضارية والإنسانية المشرقة للكويت كدولة سباقة في العمل الإنساني والتنموي المستدام.

وتُسهم هذه الصورة الإيجابية في تعزيز مكانة الكويت الدبلوماسية والإنسانية، حيث تصبح الجمعيات الكويتية سفيرة لقيم الرحمة والإتقان، فتجمع بين القوة الإدارية والرحمة الإنسانية، وتقدم نموذجاً عالمياً فريداً يربط بين الدين الإسلامي الحنيف ومعايير التنمية العصرية.

● ما الرسالة التي يبعثها حصول «الإصلاح» على شهادة «الأيزو» إلى الجهات المانحة والمتعاونين المحليين والدوليين؟

– حصول الجمعية على شهادة «الأيزو» يبعث برسالة واضحة إلى جميع الجهات المانحة أنها شريك جدير بالثقة، يمتلك أنظمة متكاملة لضمان تحقيق الأهداف المرسومة بدقة، وإدارة الأموال والتبرعات بكفاءة عالية وفق أعلى معايير الشفافية والحوكمة العالمية.

كما يطمئن المتعاونين المحليين والدوليين بأن الجمعية تتبنى الجودة كمنهج حياة لا كشعار عابر؛ ما يجعلها خياراً إستراتيجياً لأي منظمة تبحث عن شريك تنفيذي محترف قادر على إيصال المشاريع إلى غاياتها دون هدر أو عشوائية، بل بخطط مدروسة ومخرجات قابلة للقياس.

وأخيراً، تؤكد هذه الشهادة أن جمعية الإصلاح الاجتماعي ليست مؤسسة خيرية تقليدية، وإنما كيان حضاري متكامل يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويضع خدمة الإنسان وتمكينه في مقدمة أولوياته، وفق قيم الدين الإسلامي ومعايير الإدارة العالمية الحديثة.■

أنتم في قلوبنا.. عبدالله المشوح.. نبل وكرم وتواضع

مكتب الوفاء – عادل العصفور:

عاش حياة مليئة بالحب لوالديه، حيث كان يضع احتياجاتهم فوق احتياجاته الشخصية، بذل كل ما في وسعه للقيام بواجباته تجاه والديه، وكان منبراً يتجلى من خلاله معاني النبل والكرم والتواضع، إنه عبدالله محمد المشوح، عضو جمعية الإصلاح الاجتماعي.

الميلاد والنشأة:

ولد عبدالله محمد عبدالله المشوح في حي المرقاب في ١٦ من ذي القعدة ١٣٧١هـ/ ٧ أغسطس ١٩٥٢م، في بيت محب للدين، زرعت فيه أسرته القيم الراسخة كحب التضحية ومساعدة الآخرين، وهي القيم التي حملها معه طوال حياته، وكان الركيزة التي اعتمدت عليها أسرته منذ صغره.

دراسته:

ظهر لديه حب كبير للتعلم، واستكشاف العالم من خلال الكتب والمعرفة.

ابتدأ رحلته التعليمية في مدرسة ابن رشد، ثم تابع دراسته في مدرسة الفيحاء المتوسطة، وأكملها في ثانوية كيفان.

كان المشوح طالباً متفوقاً، يبذل كل ما في وسعه لتحقيق أفضل النتائج، وكان يجمع مصروفه لشراء المجلات والكتب التي تغذي فضوله وتوسع آفاقه، كان معروفاً بالثقافة والمعرفة المتعددة التي اكتسبها من القراءة الدؤوبة والمثابرة في الدراسة.

بره بوالديه:

عاش حياة مليئة بالتقدير والاحترام والحب لوالديه، حيث كان يضع احتياجاتهما فوق احتياجاته الشخصية، بذل كل ما في وسعه للقيام بواجباته تجاه والديه، حتى لو كان ذلك يعني التضحية بأحلامه الشخصية.

دوره الدعوي:

كان يرحمه الله حريصاً على المشاركة الفعالة في أنشطة إخوانه بجمعية الإصلاح الاجتماعي، ويرى في هذه الأنشطة زاداً إيمانياً وحافزاً يدفعه للعمل الدعوي.

كما كانت رحلات الحج بالغة الأهمية بالنسبة له، حيث رأى فيها وسيلة لخدمة الدين وضيوف الرحمن، وقام يرحمه الله بتأسيس حملة للحج والعمرة مع مجموعة من إخوانه المقربين من جمعية الإصلاح الاجتماعي.

لم يكن هذا التأسيس فقط لتقديم خدمات للحجاج، بل كانت الرؤية الأساسية تقديم تجربة حج مميزة، مبنية على التسهيل والتوجيه الديني الصحيح والتطوير للأفضل.

صفاته:

كان منبراً يتجلى من خلاله معاني النبل والكرم والتواضع.

وتميز بحبه الشديد للقراءة؛ ما جعل منه شخصية مثقفة وملمة بشؤون العالم، وبرزت فيه الصفات الراقية؛ من التواضع والمساعدة دون انتظار المقابل، إلى الصبر الجميل في أوقات المحن.

وفوق كل ذلك، كان حريصاً على الصلاة والقرب من الله سبحانه وتعالى، حتى في أصعب الظروف، وفي معاملاته مع الناس، كان يتسم بالأمانة والإخلاص، وكان دائم البحث عن الخير والعطاء.

وفاته:

توفي في ١٤ ذي الحجة ١٤٣٩هـ/ ٢٥ أغسطس ٢٠١٨م، وقد وافته المنية في أيام الحج، في الأيام التي كان فيها بين منى والحرم، بين طواف ونسك، بين الدعاء والذكر، عاش عبدالله مثالاً للصبر والاحتساب.

وكانت آخر عباداته على هذه الأرض صلاة الفجر، التي أداها بقلب مطمئن، قبل أن يرفع إلى جوار ربه.■

دور الثقافة في تعزيز الصمود والمقـــ

د. إبراهيم أحمد مهنا
عضو المكتب التنفيذي في هيئة علماء فلسطين

الثقافة مجموعة من المعتقدات والإجراءات والمعارف التي يتمّ تكوينها ومشاركتها ضمن فئة معينة استناداً إلى الدين والتراث والعادات والقيم السائدة في المجتمع، والثقافة التي يكوّنها أيّ شخص يكون لها تأثير قوي ومهم على سلوكه، وتدلّ الثقافة على مجموعة من السمات التي تميّز أيّ مجتمع عن غيره، منها: الفنون، والموسيقى التي تشتهر بها، والدين، والأعراف، والعادات والتقاليد السائدة، والقيم.. وغيرها.

الثقافة وسيلة قوية وفعّالة في تعزيز الصمود والمقاومة لدى أفراد المجتمع عند مواجهة التحديات العامة التي تواجههم، وذلك من خلال تعزيز الهوية، أو نقل القصص التاريخية، أو تقديم أطر فكرية للتعامل مع هذه التحديات، وهي بذلك تعتبر أداة مهمة لدعم المجتمع وتوحيده في وجه التحديات، كما تساهم في تعزيز الوعي الجمعي، والروح الوطنية، والتضامن الاجتماعي.

وتؤدي الثقافة دوراً محورياً في بناء قدرة المجتمعات على الصمود، ليس فقط على المستوى الفردي، ولكن على المستوى الجماعي أيضاً، وفيما يلي أبرز أدوار الثقافة في هذا السياق:

- تعزيز الهوية الوطنية:

تساهم الثقافة في تعزيز الهوية الوطنية للشعوب، وتعمل على ترسيخ الانتماء إلى الأرض والتراث، وعندما يظل الشعب متمسكاً بثقافته وتقاليده، فإن ذلك يعزز قدرته على مقاومة محاولات التذويب أو التأثير الخارجي، ومن خلال توظيف الأدوات الثقافية المختلفة من الفن بمختلف صوره إلى الدروس العامة والخطب والمنبرية؛ يصبح الشعب قادراً على الحفاظ على ذاكرته الجماعية؛ ما يزيد من إصراره على المقاومة ضد أي محاولات للمحو أو التفكيك الثقافي، وكلما تم توظيف هذه الأدوات باحترافية وتركيز؛ كان التأثير جلياً في صمود الشعب أمام هذه التحديات.

وفي غزة الصامدة الصابرة أكبر مثال على ذلك، فتحولت مختلف أدوات الثقافة نحو غاية واحدة وهي الصمود، فنجد الناشطين في وسائل التواصل الاجتماعي قد سخَّروا إمكاناتهم ومهاراتهم لتعزيز الهوية الوطنية لمواجهة الاحتلال الصهيوني، وتحولت المساجد (المصليات بعد هدم المساجد) إلى محاضن اجتماعية تعزز الانتماء والمقاومة، وتحركت جميع مؤسسات المجتمع المدني على اختلاف تخصصاتها إلى خلايا نشطة تثبت الناس وتنقل المعاناة إلى العالم ليقوم بدوره المأمول؛ لذا نجد أن الكثير من محاولات الصهاينة في تجنيد عملاء لهم تفشل أمام تفشي ثقافة المقاومة والصمود بين أفراد الشعب في غزة.

ولم يقتصر الأمر على الناشطين في غزة، بل تعداه ليشمل أبناء الأمة الإسلامية، بل وأحرار العالم، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية وخلفياتهم الفكرية والثقافية، والثقافة بذلك تنتج خطاباً مقاوماً من خلال الشعر والفن والمسرح، والسينما التي تركز على التحديات والمقاومة، فالأعمال الفنية التي تُنتج في فترات التحديات يمكن أن تساهم في إشعال حماسة الجموع ورفع معنوياتهم، وتعزيز هويتهم الوطنية.

- نقل القصص والموروث التاريخي التي تعزز الصمود:

تساهم الثقافة في نقل القصص التاريخية للمجتمعات، سواء عبر الأساطير الشعبية أو

ـــــاومة في مواجهة التحديات

القصص التاريخية الحية، هذه القصص تُعزز الوعي المجتمعي حول أهمية الكفاح والصمود في مواجهة الظلم والاحتلال، ونحن كمسلمين لسنا بحاجة لأساطير خيالية لتكون ملهمة للثبات والصمود، فتاريخنا الإسلامي ابتداء من عهد النبي صلى الله عليه وسلم زاخر بالقصص والنماذج الحقيقية الملهمة لأفراد المجتمع للتمسك بالحق وتأكيد معاني الثبات والتضحية والبذل، وكذلك فإن القصص القرآني مليء بهذه المعاني من خلال قصص الأنبياء وغيرها من القصص المليئة بالدروس والعبر، المؤكدة دائماً على أن العاقبة للمتقين.

وفي ذات السياق، تبرز الأمثال الشعبية والأدب الروائي والشعبي لتؤدي دوراً في تذكير الأجيال الجديدة بقوة المقاومة والصبر في تاريخهم، وقد ذكر الكاتب عباس خضر، في كتابه القيم «أدب المقاومة»، أن بعض علماء الإسلام في زمن الحروب الصليبية ممن عجزوا عن حمل السيوف والقتال عوضوا ذلك بجهاد فكري؛ فاتخذوا من التأليف ميداناً للكفاح، فردوا على أعداء الإسلام، وألفوا كتباً كثيرة في فضائل الشام والقدس والمسجد الأقصى، واتخذ المؤلفون من تاريخ أبطال الإسلام الأوائل مجالاً لبث روح الحماسة والتحريض على الجهاد، وظهرت كتب كثيرة في السياسة والتاريخ وتدبير شؤون الرعية وفنون الحرب ونحو ذلك من مؤلفات.

- تقوية الروح الجماعية:

إن تعزيز الوعي الجمعي يساهم في تحفيز الناس على مواصلة المقاومة وعدم الاستسلام للضغوطات، وتساهم الثقافة في بناء الروح الجماعية وتوحيد المجتمع لمواجهة التحديات، فعندما يتشارك الأفراد في الاحتفالات الثقافية، والمهرجانات العامة، والأنشطة الاجتماعية، يتحقق نوع من التكاتف الاجتماعي الذي يُعزز من قدرتهم على الصمود في وجه الصعاب، وعبر هذه الأنشطة تتعاظم الروح المعنوية لتنقل المشاركين فيها من دائرة التعاطف إلى دائرة المشاركة والتأثير، فيتم تعزيز التعاون والتعاضد بين الأفراد والجماعات، وتحقق روح حديث النبي صلى الله عليه وسلم القائل: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً..» (رواه البخاري).

- تعزيز الإبداع والابتكار:

تساهم الثقافة في تنمية الإبداع والابتكار كأداة لمواجهة التحديات في الأوقات العصيبة، ويُمكن للثقافة أن تكون مصدراً لتطوير حلول مبتكرة لمشكلات المجتمع، ومن ذلك الإبداع في مواجهة التطبيع ومقاطعة منتجات العدو وداعميه، فبالنظر إلى أخطار تفشي ثقافة التطبيع، ودور الإعلام في التمكين لها وتمرير مغالطاتها، يتعين تعزيز ثقافة المقاومة، وجعلها أولوية في التدافع الثقافي والسياسي المناصر لقضية العرب والمسلمين وأحرار العالم.

انطلاقاً من ذلك يتعين التأكيد على ما يلي:

- اعتبار المعركة الثقافية، وخاصة عبر الإعلام الجديد اليوم، أهمَّ الأولويات، وجزءاً لا يتجزأ من المقاومة.

- أن توجه المعركة الثقافية من خلال الإعلام بجميع أشكاله لخدمة ثقافة المقاومة والصمود، مع ما يعنيه ذلك من تصحيح المفاهيم والتصورات، والتصدي للمرجفين والمتخاذلين والمثبطين.

- بناء وتعزيز الإيمان بعدالة قضية المقاومة، والصمود والصبر على تكاليفها وتبعاتها رغم حجم الابتلاء، مع الثقة في موعود الله.

- الدعم غير المشروط للمقاومة، والانخراط الفاعل في جميع الأنشطة الداعمة لها، وهو الدور الذي كان يقوم به القرآن وآياته التي كانت تتنزل بالتوجيه للثبات والصبر، والتذكير بسنن التدافع، وفضح المنافقين ومخططات المرجفين، وذلك يقتضي جعل المقاومة الثقافية في مقدمة الأولويات، والإسهام في المعركة الثقافية والإعلامية من خلال الانحياز الواضح لعدالة القضية الفلسطينية، وبذل الجهد في جميع المنصات الإعلامية لتحقيق ذلك.

- بث فكرة أن النصر الحقيقي هو الانتصار في الثبات والصمود، وأن النتائج مضمونة وإن لم تكن في زماننا، وأن العاقبة للمتقين، فكم استشهد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المكي ولم يروا ظهور الإسلام.

- تعزيز حركة التأليف واستثمار أدوات الثقافة المختلفة من أدب وفن لنشر فكرة الصمود والثبات والجهاد لتحقيق الحق وإزهاق الباطل. ■

الثقافة تساهم في تعزيز الهوية الوطنية للشعوب وتعمل على ترسيخ الانتماء إلى الأرض والتراث

.. وفي نقل القصص التاريخية التي تعزز الوعي المجتمعي حول أهمية الكفاح في مواجهة الظلم

.. وفي تنمية الإبداع كأداة لمواجهة التحديات في الأوقات العصيبة وتطوير حلول مبتكرة للمشكلات

إستراتيجيات الصمود في عصر العولمة

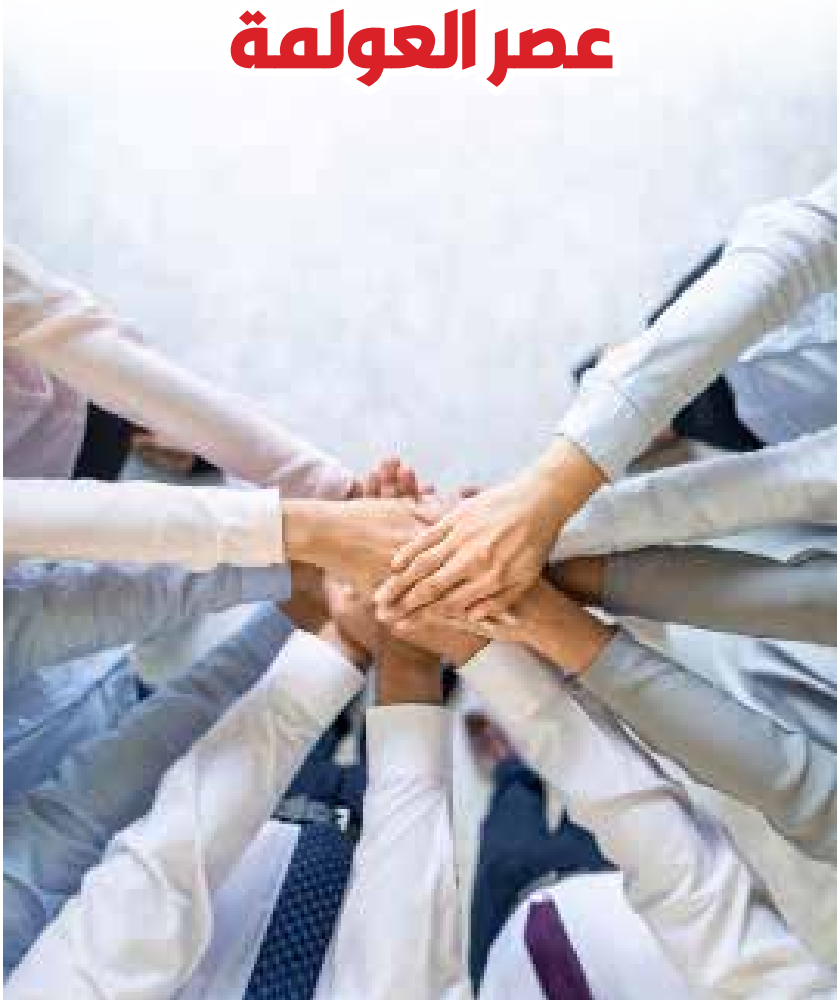

د. مي سمير
دكتوراه في العلوم السياسية

نعيش اليوم في عالم يُراد له أن يُدجَّن بالكامل على النمط الغربي تحت دعاوى العولمة، التي باتت أداة لترويج قيم الغرب وثقافته باعتبارها المعيار الوحيد للتحضر، فالأمر في حقيقته ليس تواصلاً بين الحضارات لتقريب الرؤى والتفاعل الإيجابي البناء، لكنه على العكس أصبح صداماً ونفياً لكل ما هو غير متفق مع قيم الغرب، ومحو لكافة الحضارات عبر جعل الغرب هو النموذج الذي يجب اقتداؤه إن بالرضا أو بالقوة.

في ظل سيطرة تلك الحضارة الغربية على كافة أدوات القوة الناعمة والخشنة، فقد أصبح العالم بأسره مجرد تابع وخاضع لتلك الحضارة، مع غياب شبه كامل لكافة إمكانات ووسائل المقاومة العسكرية والسلمية ناهيك عن غياب الإرادة لذلك.

يزداد ذلك المشهد قتامة مع تصاعد الجدل حول جدوى المقاطعة لبعض إنتاجات الغرب مثل وسائل التواصل أو أدوات التكنولوجيا غير المتوفر لها بدائل؛ ما يثير تساؤلات عن إمكان المقاومة وجدواها وقدرتها على التأثير في ظل تجردنا من امتلاك أدوات التقدم الفكرية والثقافية والاقتصادية اللازمة للوقوف في وجه الهيمنة الساحقة للغرب.

ولكن، هل هذه هي النهاية؟ هل إلى خروج من سبيل؟ هل هناك وصفة للتقدم يمكن استعارتها من خارج إطار الحضارة الغربية؟ وهل هناك نموذج حقيقي لحضارة قامت ونهضت وحققت النجاح على الآخرين من الصفر؟

كان العرب قبل الإسلام مجموعة من القبائل المشتتة المتنازعة، وهو ما أخبر به القرآن في وصفه لحال العرب حين نزلت عليهم الرسالة قائلاً: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢)، فقد ساد التعصب والتفسخ والأخلاق الفاسدة والأمية أيضاً بين العرب قبل الإسلام، كانوا بدواً منعزلين في الصحراء بين أمم راسخة في الحضارة كالفرس والرومان واليونان، وقد لخصت تسمية «الجاهلية» ذلك العصر للتعبير عن حال العرب.

هذه الحال تخبرنا عن النقلة النوعية التي ارتقت بالعرب من بدو رحل بعقلية جاهلية متفسخة إلى فاتحين يملؤون الأرض عدلاً وخُلُقاً، ويشيدون في كل صقع علم ومعمار شهد التاريخ بعظمته وتفرده، وهذه النقلة ما كانت لتكون من دون الإسلام.

وبينما يذهب الخبراء والعلماء أولاً حين يثور التساؤل حول الخطوة الأولى لتحقيق النهضة نحو تمجيد التعليم، فقد صنع الإيمان في الحضارة الإسلامية معجزة من رحم الأميين العرب، بل وأرسل

إليهم رسولاً أمياً ليؤكد بأن الإيمان والقلب والعقل هم مناط الأمر، بينما نرى رأي العين اليوم حضارة تخلت عن الدين والقيمة من أجل العلم والاكتشافات والتطور قد دمرت الإنسانية والطبيعة وأفسدت الأرض وسفكت الدماء وانتهكت الحرمات.

من هنا، فإن الإستراتيجية الأولى والرئيسة التي لا غنى عنها للصمود في وجه كافة الفتن هي الإسلام الذي هو جماع أمر الأمة وأساسها المتين الذي به تصمد وعليه تتكئ ومنه تستلهم القوة والعزيمة، وللوصول إلى تلك الغاية ينبغي لنا البحث عن إستراتيجيات تمكن الأمة من الصمود وامتلاك القدرة على المقاومة الناجعة المؤثرة، ومن أهمها:

- استلهام النموذج:

وضع النبي صلى الله عليه وسلم خلال فترة رسالته ورئاسته للمسلمين اللبنات الأولى للنظام السياسي الإسلامي، يقول د. محمد ضياء الدين الريس، في كتابه «النظريات السياسية الإسلامية» عن هذه الفترة بأنها: «الروح العامة التي تلهم التفكير، وتُوجِد النموذج الكامل الذي تنظر إليه الآراء مهما اختلفت، وتؤلف النقطة التي تلتقي عندها كل المذاهب مهما تضاربت وتصادمت».

إن عصر النبوة، كما اتفق أغلب دارسي التاريخ السياسي الإسلامي، كان بمثابة نموذج ومثال يعبر عن الإسلام في كماله وتمامه، وهو القياس الذي ينبغي كلما أضعنا وجهتنا وضللنا طريقنا أن نعود إليه مرة أخرى.

- الأخذ بالأسباب:

ويتطلب البحث عن النموذج واستلهامه أخذاً بأسباب التقدم بشكل عملي، فالمسلمون وقتما بدؤوا في توسيع حدود دولتهم وشرعوا في تأسيس حضارتهم لم يركنوا إلى الأماني والدعوات، بل أدركوا أن هناك أمماً سبقتهم بأشواط طويلة في ميادين العلم وفروع المعرفة، فأخذوا ينهلون من تلك العلوم والمعارف بأكبر قدر ممكن من الوعي والانتقائية عبر حركة ترجمة ضخمة وثرية، أسهمت بشكل مباشر في تشكل العقلية الإسلامية الجديدة التي لم تنبطح أمام الوافد كلياً ولم ترفضه كاملاً، بل ارتأت في نفسها القدرة على تذوق المعرفة وتقييم العلوم وأخذ ما يناسبها ورفض ما يعارضها، فوضعت بذلك معياراً موضوعياً ومهماً يستند إلى تطويع العلوم والفنون لخدمة المجتمع وليس العكس.

- الانتقائية:

وفي يومنا هذا قد يقول قائل بصعوبة انتهاج منهج الأولين من الصحابة والتابعين الذين قامت على أكتافهم حضارة الإسلام، إذ كانت جاهليتهم منعزلة عن الآخرين، فلم يختبروا تلك السيطرة التي باتت تلفنا من كافة الجوانب فلا تمنحنا فكاكاً منها، لكن ذلك لا يعني الاستسلام حتماً وإنما فهم جوهر المبدأ الذي قامت عليه الحضارات الناجحة وفي مقدمتها الحضارة الإسلامية ألا وهو مبدأ «الانتقائية»، التي تطلب وعياً لفهم التمايز بين الوسيلة والغاية، كما يتطلب فهماً متعمقاً لأي الأشياء يمكن أن تكون أداة أو وسيلة وأيها يمكن أن يرتقي إلى كونه غاية أو هدفاً في حد ذاته.

فقد صنع الغرب أدوات للتكنولوجيا والإنتاج والاقتصاد والحرب والتواصل، وهي أدوات قد تكون لا غنى عنها في الاستخدام والاستهلاك والحياة، لكن استخدام الأدوات لا يتطلب بأي حال التزاماً أخلاقياً بالغايات التي وضعها مبتكر تلك الأدوات، فالتكنولوجيا أداة لكن استخدامها لتطوير إستراتيجيات عسكرية في القتل هو غاية يمكننا رفضها، والسلاح أداة للردع لكن توجيهه لصدور النساء والأطفال وإذكاء الحروب لتحقيق مكاسب من تجارة الأسلحة غاية غير مقبولة.

من ناحية ثانية، فقد وضع الغرب قيماً ومبادئ بمثابة غايات كبرى لحضارته يمكن ألا نتفق في جعلها غاية وأن نسعى إلى تصنيفها كأداة، فلطالما كان الربح أكبر غايات النظام الرأسمالي، وهو ما يجعل المال هدفاً، بينما يمكننا إعادة تقييم تلك الغاية لوضعها في مكانها الصحيح طبقاً لرؤيتنا وقيمنا الإسلامية التي يكون المال فيها مجرد أداة أو وسيلة لتحقيق النفع الإنساني والتكافل الاجتماعي والإنفاق في سبيل الله.

ومن ناحية ثالثة، فالانتقائية تفرض علينا التمييز بين الأساسيات والفرعيات في تعاطينا مع المنتجات الغربية، فما يمكن الاستغناء عنه وإيجاد بدائل له يجب أن نتوقف فوراً عن استهلاكه، إعمالاً للقاعدة الفقهية الإسلامية «ما لا يُدرك كله لا يُترك كله»، فإذا ما اضُطررنا إلى استهلاك بعض أدوات الغرب ومنتجاته فلزاماً علينا إعمال الحذر والوعي للوقوف على الجوانب المظلمة التي صنعت من أجلها كي لا نحقق الغايات المرجوة -غربياً- من استخدامنا له.

وأخيراً، فإنه وإن كانت أدوات المقاومة أمامنا محدودة وخياراتنا ضيقة فإن شعور الانهزامية الذي بات مستشرياً في أوصال أمتنا ليس خياراً بديلاً بأي حال من الأحوال، ولئن كنا لا نملك اليوم كل أدوات القوة، فإننا نملك وعينا، ونملك تاريخاً يخبرنا أن النهوض من العدم ممكن، إذا ما صدق العزم وامتد البصر إلى ما وراء الهيمنة.■

الإستراتيجية الأولى والرئيسة التي لا غنى عنها للصمود في وجه كافة الفتن هي الإسلام

نملك تاريخاً يخبرنا أن النهوض من العدم ممكن إذا صدق العزم وامتد البصر إلى ما وراء الهيمنة

الدول تستخدم الثقافة لبناء قوتها.. فما أسباب ضعف الثقافة العربية الحديثة؟!

د. سليمان صالح
باحث وأكاديمي في مجال الإعلام

القراءة النقدية للإنتاج الثقافي العربي يجعلك تدرك أبعاد الأزمة التي تمر بها الأمة؛ حيث تم حرمانها قهراً من التعبير عن حلمها في الحرية والاستقلال الشامل؛ لذلك يجب دراسة الأسباب التي أدت إلى ضعف الإنتاج الثقافي، والثقافة من أهم مصادر قوة الدول، لذلك تستخدم الكثير من الوسائل لزيادة جاذبية ثقافتها، وتشجيع الأدباء لإنتاج أفكار جديدة تشكل أساساً لبناء مجتمع المعرفة.

والحرية تطلق القدرات العقلية، وتفتح المجال لبناء نهضة علمية وأدبية؛ وكانت تلك هي القاعدة التي بنى عليها الغرب نهضته الثقافية منذ نهاية القرن الثامن عشر، وقامت الصحافة بتقديم المثقفين للجمهور، والبحث عن الأفكار الجديدة.

المتغربون لا يريدون الحرية حتى بمعناها الغربي ولكنهم يصرخون عندما يهاجم أحد أفكارهم ويصفونه بالإرهاب

الأمة تعيش مرحلة كئيبة في تاريخها تعاني فيها من الحرمان من المعرفة والثقافة بسبب التحكم في النشر

مراجعة ما يكتبه أنصاف الجهلاء من عملاء الاستعمار الثقافي الغربي توضح أنهم يريدون حرية محدودة تتيح لهم أن يهاجموا الإسلام، ومنع الأزهر من مواجهة ذلك الهجوم؛ لكنهم لا يريدون الحرية من القيود التي تفرضها السلطة، ولا يدافعون عن حرية المثقفين الإسلاميين الذين يمكن أن يقوموا بدورهم في نقد إنتاجهم، وتوضيح تهافت أفكارهم.

المتغربون الذين يدعون التنوير لا يريدون الحرية حتى بمعناها الغربي، ولكنهم يصرخون عندما يهاجم أحد أفكارهم، ويصفونه بالإرهاب والظلامية، والرغبة في تقييد حرية العقيدة والفكر.. لكن لم يكتب أحدهم يوماً كلمة دفاع عن حق مثقف إسلامي في الدفاع عن الإسلام.

هم مستنيرون فقط في الدفاع عن الغرب، الذي يروجون لفكرة أن التقدم يعني تقليده دون تفكير بخيره وشره، والتخلي عن الإسلام الذي يدعون كذباً أنه سبب التخلف، وأن الحملة الفرنسية هي بداية النهضة والخروج من الظلمات إلى النور.

لكن هل يمكن أن يشرح لنا أحدهم معاني الحريات في الفكر الغربي، وتطبيقها في النظم السياسية الأمريكية والأوروبية.. أتحداهم وأستطيع أن أبرهن على أنهم لم يقرؤوا هذا الفكر، وأن جهلهم به لا يقل عن ذلك الذي يظهر بوضوح عندما يتحدثون عن الإسلام واللغة العربية والشعر العربي، وهم يحرصون على استخدام بعض الكلمات الإنجليزية؛ ليدلسوا على الجمهور ويخدعوه، لكن هل يستطيع أحدهم أن يقول لنا جملة مفيدة باللغة الإنجليزية أو العربية؟!

إنهم يتحدثون عن العلمانية باعتبارها الحل الوحيد لبناء الدولة الحديثة؛ لكن هل يستطيع أحدهم أن يشرح لنا معنى العلمانية؟ وكيف ظهرت وتطورت؟ وهل تطبقها أمريكا وأوروبا، وهم يتعاملون باستكبار وغرور مع المثقفين المسلمين؟ حسن، فهل يقبلون المناظرة في الفكر الغربي الذي يمجدونه، وباللغة الإنجليزية إن أرادوا؟

لكن ليست تلك هي القضية التي نريد التركيز عليها في هذا المقال؛ ذلك أن السلطات فتحت لهم المجال، ونشرت إنتاجهم من أموال الشعب، ومنحتهم الشهرة والجوائز، في الوقت الذي قهرت فيه المثقفين الإسلاميين واضطهدتهم، وأغلقت في وجوههم أبواب النشر؛ فظهرت الثقافة العربية بتلك الصورة التي ترضي العدو ولا تسر الصديق.. لماذا؟!

هناك ما يشير إلى أن السلطات تحتقرهم وتدرك جهلهم ونفاقهم؛ فقد صرح وزير ثقافة سابق بأنه يشتري المثقف بمنصب، أو بوجبة عشاء؛ لذلك فهي تستخدمهم، وتقوم أجهزة الأمن بتوجيههم لإشعال معارك بهدف إلهاء الجماهير، وتغييب وعيها.

والسلطات تريد إشعال تلك المعارك عندما تواجه تحديات تهدد وجودها، وعندما يتزايد الفقر، وتفشل في تقديم حلول للمشكلات، فتحرك أنصاف الجهلاء للهجوم على الإسلام لينشغل الناس بالدفاع عن الدين بدلاً من الكفاح لفرض إرادة الأمة وتحقيق الديمقراطية والاستقلال الشامل.

وهكذا التقت أهداف السلطات الدكتاتورية مع أهداف الغرب؛ حيث

تعاملت هذه السلطات مع الإسلاميين باعتبارهم العدو الذي يجب استخدام كل الوسائل لاستئصاله والقضاء عليه، في الوقت الذي يري فيه الغرب أن مشروع التنوير يفشل، وأن وجهه الاستعماري القبيح يظهر، وأن الإسلام يمكن أن يقود كفاح الشعوب للتحرر من كل أشكال الاستعمار، ومن النهب الرأسمالي لثروات الشعوب.

لم تجد السلطات سوى أولئك المنافقين الجهلاء التابعين للغرب لتستخدمهم، فتنشر إنتاجهم الغث، وتحول رواياتهم الرديئة إلى أفلام ومسلسلات تلفزيونية، ولتفرض سيطرتهم على وزارات الثقافة والهيئات التابعة لها.

أما دور النشر الخاصة، فإنها أصبحت تخاف من أن تنشر أي عمل علمي أو أدبي خوفاً من سلطات لا ترحم، ولا تهتم بالثقافة كمصدر للقوة.

هل يمكن أن تقارن عدد الكتب التي تنشر في العالم العربي كله بما ينشر في أفقر دولة أوروبية؛ ثم تسأل نفسك: هل هذا هو الإنتاج العلمي والأدبي العربي؟! بذلك يمكن أن تدرك أن الأمة تعيش مرحلة كئيبة في تاريخها تعاني فيها من الحرمان من المعرفة والثقافة، بعد أن تحكمت الأجهزة الأمنية في النشر؛ لكن هذه المرحلة ستنتهي حتماً، وسيكون مصير كل ما أنتجه المنافقون هو الإهمال والنسيان، بعد أن يتضح للجماهير أن هدفه هو الخداع والإلهاء، وأن المنتج الحقيقي هو أجهزة الأمن، وما أولئك الجهلاء سوى الوسيلة التي استخدمتها السلطات الدكتاتورية والدول الغربية لتزييف وعي الأمة.

السؤال الأخير: لماذا دفعت أجهزة الأمن المنافقين؛ لشن هجومهم على الإسلام في الوقت الذي يشن فيه جيش الاحتلال «الإسرائيلي» عدوانه على غزة، ويرتكب الجرائم ضد الإنسانية، بهدف تهجير السكان قسرياً، وإبادتهم جماعياً؟! ليت أحدهم يجيب عن السؤال!■

الثقافة الإسلامية.. وتحدي تغيير المفاهيم

د. حاتم عبدالعظيم

أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله

تواجه الأمة الإسلامية تحديات غير مسبوقة على مستوى المنظومة الفكرية والعقدية وثوابتها الدينية والتقاليد الراسخة والأعراف المتبعة في مختلف البلاد الإسلامية التي باتت جميعها مهددة بدرجة ما؛ بسبب ما تعيشه البشرية من انفتاح غير مسبوق ومن سيولة هائلة تضرب العالم وتعبث بثوابت الفطرة التي توارثت البشرية احترامها فضلاً عن القيم الأخلاقية والثوابت الدينية.

وقد أدى التطور الحاصل في وسائل التواصل الاجتماعي إلى زيادة التحديات ومضاعفتها على وجه الخصوص لتلك الأجيال التي ولدت وتشكل وعيها في ظل ثورة الاتصالات تلك.

وعليه، فقد باتت مشاريع الإلحاد والشذوذ و«الجندرة» بمثابة ثالوث مخيف يجتاح البشرية غرباً، ويراد له أن يجتاحها شرقاً؛ وهو ما يمثل تحدياً كبيراً أمام الثقافة الإسلامية ومؤسساتها الفاعلة، بل أمام مجتمعاتنا بأسرها.

فالإلحاد يروج بضاعته عبر التشكيك في الثوابت الدينية، وعبر ماكينة لا تتوقف عن سوق الشبهات حول القرآن الكريم، وحول النبي صلى الله عليه وسلم، وحول الشريعة الإسلامية، كما تسعى إلى التشكيك في وجود الله سبحانه عبر مغالطات مكشوفة لكل ذي علم أو بصيرة، غير أن هذه الأفكار المسمومة تستهدف بالأساس شباباً غضاً لم يتلق من العلم والتزكية ما يمكنه من تفادي تلك العثرات المصنوعة قصداً وعمداً لإفساده.

وفي الوقت ذاته، تأتي مظاهر الانفلات الأخلاقي والانتكاس الفطري كالشذوذ والجندرة كمحاولة لإفساد الطبيعة البشرية وتدمير الإنسان ذاته وتحويله إلى مسخ حيواني شهواني لا يصلح لشيء.

إنها بالأحرى دعوة لتحرير الإنسان من ذاته، واعتبار الإنسانية بمثابة مادة خام يملك الإنسان إعادة تشكيلها كما يشاء على نحو ما أطّرته مبكراً الكاتبة الفرنسية سيمون دي بوفورا في كتابها «الجنس الآخر» الذي صدر عام ١٩٤٩م؛ ومن ثم أخذت عجلة «الجندرة» في الدوران انطلاقاً من المساواة بين الجنسين، كما ورد في بنود اتفاقية «سيداو»، وانتهاء بإذابة الفوارق بينهما تماماً على نحو ما يطرحه خطاب «الجندرة» في هذه الأيام.

وهذا كله يقتضي من الأمة إعادة النظر في كثير من شؤونها استجابة لخطورة التحديات، وتأثر الأجيال الصاعدة بها، يمكن أن نذكر ركنها ما يأتي:

- تجاوز الإغراق في الخلافات المذهبية والقضايا التاريخية التي لم يعد لها في واقعنا ذات الثقل الذي كان قبل قرون أو حتى قبل عقود.
- تبني خطاب جامع يركز على الأصول والثوابت -التي باتت مستهدفة- ويتسامح في الفروع والجزئيات
- إعادة النظر في المحتوى التعليمي المقدم في مدارسنا بما يرسخ الثوابت الفطرية والعقدية والشرعية بمنهجيات جامعة بين العقل والنقل تقطع الطريق على ماكينة الشبهات.
- تطوير الخطاب الدعوي بما يستجيب لتلك التحديات، ويتعامل معها بالطرق المناسبة التي ترسخ أصول الإيمان أولاً، ثم ترد الشبهات بأدلة العقل والعلم.
- ضرورة إزالة الإشكال الموهوم حول انفصام الدين عن العلم في ظل الطرح القرآني الداعي للبحث والنظر والاكتشاف واعتبار ذلك من مقتضيات الإيمان.
- تطوير المنتجات الفنية والدرامية لتتحول إلى صيانة الهوية لا معاداتها، وتبني الدول الإسلامية إنتاجاً إعلامياً ودرامياً يعزز الهوية.
- إفساح المجال للدعاة القادرين على مخاطبة الأجيال الشابة بلسانها ولغة عصرها.
- إيجاد مراكز متخصصة في رصد الشبهات والتصدي لها أولاً بأول.
- إدخال ما يتعلق بالشبهات والرد عليها ضمن مقررات الكليات الشرعية والدعوية، وتقديم تدريبات مستمرة للدعاة في هذه المساحة، ونحن نوقن قبل هذا كله بأن الله تعالى حافظ دينه ومُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.■

تآكل الهوية الرقمية..

كيف تهدد الحروب السيبرانية الخصوصية الثقافية للمجتمعات الإسلامية؟

د. عمران سالم
خبير أمن المعلومات

تتجاوز الهوية الثقافية للمجتمعات الإسلامية حدودها المادية التقليدية المتمثلة في المساجد والمخطوطات واللغة العربية، لتمتد وتتشكل كهوية رقمية نابضة بالحياة عبر منصات التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية وحتى ألعاب الفيديو.

تتجلى هذه الهوية الرقمية في استخدام الرموز الثقافية كتصميمات الفن الإسلامي في المواقع التراثية، ونشر المحتوى الديني الغني كالخطب المسجلة والتفسيرات القرآنية والفتاوى الإلكترونية، وحضور اللغة العربية بلهجاتها المتعددة كوسيلة فعالة لحفظ التقاليد الشفهية، بالإضافة إلى توثيق التاريخ المشترك وإبراز إسهامات الحضارة الإسلامية العريقة من خلال الأرشيفات الرقمية المتاحة.

في عصر تتشابك فيه الخيوط المادية والافتراضية لحياتنا، لم تعد ساحات المعارك تقتصر على الحدود الجغرافية، فقد برزت الفضاءات السيبرانية كساحة حرب جديدة، لا تستهدف البنى التحتية المادية فحسب، بل تمتد آثارها المدمرة لتطال أعمق جوانب وجود المجتمعات، بما في ذلك خصوصيتها الثقافية، وبينما تتصاعد وتيرة «الحروب السيبرانية»، تواجه المجتمعات الإسلامية تحديات فريدة تهدد نسيجها الثقافي الغني والمتنوع.

الحروب السيبرانية، في جوهرها، صراعات تستخدم فيها الدول والجماعات والأفراد القدرات الهجومية والدفاعية في الفضاء الإلكتروني لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، تتضمن هذه الهجمات تعطيل البنى التحتية الحيوية، وسرقة البيانات الحساسة، ونشر المعلومات المضللة، والتأثير على الرأي العام، وفي سياق المجتمعات الإسلامية، يتجاوز تأثير هذه الحروب مجرد الإخلال بالأمن القومي والاقتصادي ليطال صميم هويتها الثقافية وخصوصيتها القيمية.

أحد أبرز تأثيرات الحروب السيبرانية على الخصوصية الثقافية يكمن في استهداف القيم والمعتقدات، ويمكن استخدام الفضاء السيبراني كأداة قوية لنشر روايات مناهضة للقيم الإسلامية التقليدية، وتشويه الرموز الثقافية، والترويج لأفكار غريبة عن السياق المجتمعي، من خلال حملات منظمة على وسائل التواصل الاجتماعي ومنصات الإنترنت، يتم بث محتوى يسعى إلى تفكيك الروابط الاجتماعية القائمة على الدين والثقافة المشتركة، وغرس بذور الشك والانقسام داخل المجتمعات.

كما أن انتشار المعلومات المضللة والأخبار الكاذبة يمثل تهديداً كبيراً للوعي الثقافي، وفي خضم الصراعات السيبرانية، يتم استغلال منصات الإنترنت لنشر معلومات ملفقة تهدف إلى تشويه الحقائق التاريخية والثقافية، وتأجيج النعرات الطائفية والعرقية، وتقويض الثقة في المؤسسات الدينية والثقافية، هذا

أبرز تأثيرات الحروب السيبرانية على الخصوصية الثقافية يكمن في استهداف القيم والمعتقدات

تعزيز التعاون بين المؤسسات الثقافية لتطوير روايات ثقافية رقمية تعكس تنوع الثقافة الإسلامية

تشكيل تحالف إسلامي للدفاع السيبراني بإنشاء هيئة تتبع منظمة التعاون الإسلامي لحماية المواقع الثقافية

التهديدات السيبرانية ضد الهوية الإسلامية حرب ممنهجة لإعادة تشكيل الوعي وفق مصالح القوى العظمى

التشويه المنهج للحقائق يمكن أن يؤدي إلى تآكل الذاكرة الجماعية للمجتمعات الإسلامية وتغيير تصورها لذاتها وتراثها.

علاوة على ذلك، فإن التدخل في الفضاء السيبراني الخاص بالمجتمعات الإسلامية من قبل جهات خارجية يمكن أن يؤدي إلى فرض أجندات ثقافية وقيمية مغايرة، من خلال التحكم في تدفق المعلومات والتأثير على المحتوى الرقمي المتاح، يمكن لهذه الجهات أن تسعى إلى تهميش أو إقصاء العناصر الثقافية الأصيلة، واستبدال نماذج ثقافية غربية أو أخرى لا تتناسب مع الخصوصية الحضارية للمجتمعات الإسلامية بها.

لا يقتصر التأثير على المحتوى الظاهر فحسب، بل يمتد ليشمل الاستيلاء على البيانات الثقافية والتراثية الرقمية، مع رقمنة المزيد من جوانب التراث الثقافي الإسلامي، تصبح هذه البيانات هدفاً جذاباً للهجمات السيبرانية، فقد تتعرض المتاحف الرقمية والمكتبات الإلكترونية والمواقع التي توثق التاريخ والتراث للقرصنة والتشويه أو حتى الحذف؛ ما يمثل خسارة فادحة للذاكرة الثقافية الجماعية ويضعف قدرة الأجيال القادمة على التواصل مع جذورها.

إن تأثير الخوارزميات المتحيزة على عرض المحتوى الرقمي يمثل تحدياً آخر، قد تعمل هذه الخوارزميات، عن غير قصد أو بتوجيه، على تضخيم أصوات معينة وتهميش أخرى؛ ما يؤدي إلى تشكيل تصورات ثقافية غير متوازنة أو نمطية عن المجتمعات الإسلامية، هذا يمكن أن يعزز الصور النمطية السلبية ويقلل من التنوع والغنى الحقيقي للثقافة الإسلامية.

لمواجهة هذه التحديات، تحتاج المجتمعات الإسلامية إلى تبني إستراتيجيات شاملة لحماية خصوصيتها الثقافية في الفضاء السيبراني، يتطلب ذلك تعزيز الوعي الرقمي لدى الأفراد وتمكينهم من التفكير النقدي والتعامل الحذر مع المحتوى الرقمي، كما يستلزم تطوير قدرات دفاعية سيبرانية قوية لحماية البنى التحتية الرقمية الحيوية والبيانات الثقافية.

بالإضافة إلى ذلك، هناك حاجة إلى تعزيز التعاون بين المؤسسات الثقافية والإعلامية والجهات الحكومية لتطوير روايات ثقافية رقمية قوية وأصيلة تعكس تنوع وغنى الثقافة الإسلامية، يجب دعم إنتاج محتوى رقمي عالي الجودة يعزز القيم الثقافية الإيجابية ويواجه المعلومات المضللة.

يجب أن تتنوع الحلول والأفكار التي تساعد في حماية الثقافة الإسلامية الرقمية، فالحل ليس تقنياً فقط، وإنما ثقافي وإستراتيجي، ومن هذه الحلول:

١- بناء منصات إسلامية آمنة:

تطوير منصات إلكترونية إسلامية ذات خوادم محلية مُشفرة، كبديل عن «فيسبوك» و«إكس»، كما يجب توثيق المخطوطات والخطب عبر تقنية «بلوكتشين» لمنع التلاعب لاحقاً.

٢- التعليم الرقمي النقدي:

تدريس مهارات التحقق من المعلومات في المدارس والجامعات الإسلامية، وإطلاق حملات توعوية، مثل: «قبل أن تُشارك، تيقَّن».

٣- تحالفات دولية لمواجهة الحروب السيبرانية:

تشكيل تحالف إسلامي للدفاع السيبراني، مثلاً يجب إنشاء هيئة تتبع منظمة التعاون الإسلامي لحماية المواقع الثقافية، ومن أجل الضغط على الشركات التقنية لاحترام الخصوصية الثقافية، كعدم حذف المحتوى العربي دون مراجعة بشرية.

٤- إعادة إنتاج الهوية بلغة العصر:

توظيف الألعاب الإلكترونية والواقع الافتراضي لنشر التراث الإسلامي (مثل: لعبة عن رحلة ابن بطوطة)، كما نشجع على إشراك الشباب في صناعة محتوى ثقافي جذاب ينافس الإعلام الغربي الذي يهدف إلى طمس وتذويب الهوية الإسلامية

التهديدات السيبرانية ضد الهوية الإسلامية ليست مجرد قرصنة عابرة، وإنما جزء من حرب كونية ممنهجة لإعادة تشكيل الوعي البشري وفق مصالح القوى العظمى، فالحفاظ على الهوية الرقمية أصبح واجباً دينياً ووطنياً؛ لأن من يتحكم في سردية التراث الإسلامي رقمياً سيُتحكم فيه مستقبل الأمة، والسبيل الوحيد للنجاة هو تحويل الهوية من هدف ضعيف إلى حصن رقمي يُواجه عواصف العصر الرقمي.

في الختام، تمثل الحروب السيبرانية تهديداً حقيقياً للخصوصية الثقافية للمجتمعات الإسلامية، حيث إن تآكل الهوية الرقمية ليس أقل خطورة من تآكل الحدود الجغرافية، من خلال فهم هذه التحديات واتخاذ خطوات استباقية لتعزيز الوعي الرقمي وحماية الفضاء السيبراني الخاص بنا، يمكن للمجتمعات الإسلامية أن تحافظ على تراثها الثقافي الغني وتنقله بأمان إلى الأجيال القادمة في هذا العصر الرقمي المتغير.

في نهاية المطاف، يجب أن تصبح الصورة واضحة جلية للأجيال؛ فالهوية الرقمية معركة وجود لا رفاهية.■

دعم المبادرات الثقافية الهادفة.. واجب الوقت لمواجهة التحديات

تتعدد المبادرات الثقافية الهادفة في العالمين العربي والإسلامي، وسط متغيرات صعبة تفرضها الأخطار الجيوسياسية في المنطقة، بعد تصاعد حرب الإبادة الجماعية الصهيونية لأهل غزة عقب انطلاق معركة «طوفان الأقصى»، في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، بجانب محاولات مستميتة لتذويب الهوية العربية الإسلامية، واختراق العقيدة الإسلامية، ولذلك يعول مراقبون على أهمية دعم هذه المبادرات لتكون درعاً تحمي الأجيال الصاعدة، ومنطلقاً لمستقبل ثقافي أفضل بالعالم الإسلامي يواجه كافة التحديات والمتغيرات.

القاهرة – حسن القباني:

بينما تتواصل محاولات تسجيل التراث الثقافي الفلسطيني في «يونسكو»، تستغرق سمر دويدار، منسقة مشروع «حكايات فلسطينية» للأرشيف الفلسطيني العائلي، في التفكير المتواصل في كيفية ملاحقة أعباء المرحلة الجديدة من مبادرتها الثقافية المتفردة بعد انطلاق معركة «طوفان الأقصى»، في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، وتصاعد حرب الإبادة الجماعية الصهيونية لأهل قطاع غزة.

وتوضح دويدار، في حديثها لـ«المجتمع»، أن مبادرتها بدأت بجهود فردية في العام ٢٠٢٠م، بهدف توثيق الأرشيفات الفلسطينية العائلية منذ النكبة للحفاظ على الذاكرة الاجتماعية للفلسطينيين في أنحاء العالم والرواية الشفهية الفلسطينية، وبناء أرشيف شعبي فلسطيني، ثم تطورت إلى تدشين موقع خاص بالمبادرة في مايو ٢٠٢٣م، مع الذكرى الـ٧٥ لـ«النكبة»، ليصبح بمثابة متحف تفاعلي للإنسان الفلسطيني، لكن مع بدء حرب الإبادة العام الماضي شهد العمل نقطة فارقة لتطوير المبادرة.

بدأت المصرية-الفلسطينية سمر دويدار، منذ أكتوبر الماضي، العمل مع فريق متطوعين لم يتجاوز ٢٥ متطوعاً ومتطوعة، في توثيق اللحظة الفلسطينية التي تواجه محواً صهيونياً متعمداً، سواء على وسائل التواصل الاجتماعي أو على الأرض، وفق وصفها، وذلك من أجل نقل أصوات الناس العادية في غزة، ولحظاتهم في مواجهة الإبادة، التي تبث لحظياً على الهواء مباشرة، وتوثيق ما ينشرون على وسائل التواصل من أجل المستقبل.

فيما تؤكد أن الأرشفة والتوثيق في فكر المبادرة هما جزء من المقاومة وواجب تجاه أهالي غزة، في إطار تطورات علم

التأريخ الشفهي والتوثيق التاريخي في مواجهة محاولات مستميتة لمحو غزة وتحويلها إلى ساحل سياحي وريفيرا جديدة، ومواجهة كذلك أي سيناريو مستقبلي محتمل بإلغاء موقع «فيسبوك» وما عليه من شهادات وقصص فلسطينية.

وتشدد دويدار على أهمية دعم المبادرة في الفترة المقبلة عبر تعريف العائلات الفلسطينية بالمبادرة وموقعها الإلكتروني للحصول على أرشيف عائلي أكبر، وتوثيق لحظات تاريخية خالدة للشعب الفلسطيني، أو حتى أي صورة عائلية أو لحظة اجتماعية ما قبل ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، وما بعدها، بجانب تطوع المزيد من أنصار القضية الفلسطينية من عموم الناس للمشاركة في توسيع مساحات التوثيق والأرشفة والشهادات، وتبني من يهمه الأمر للمبادرة بما يكفل استمرارها.

مبادرات متنوعة

ويشهد هذا العام في الكويت العديد من المبادرات، والأنشطة والفاعليات، على مدار ٢٣٥ يوماً، ضمن فعاليات الاحتفاء باختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٢٥م، كبلد زاخر بإرث ثقافي وحضاري راسخ الجذور.

وعلى التوازي، هناك العديد من المبادرات الثقافية الهادفة، في كثير من البلدان العربية والإسلامية، منها مشروع تسجيل التراث الإسلامي في منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الذي تسابق الجهود فيه الزمن لتسجيل العديد من المواقع التاريخية والعناصر الثقافية على قائمتها ومنها مواقع القاهرة الإسلامية التاريخية.

وشهد ختام الدورة الـ١٣ لمؤتمر وزراء الثقافة في دول العالم الإسلامي، في السعودية، اتفاقاً مصرياً مع «إيسيسكو»، في فبراير الماضي، وفق بيان رسمي، على ضرورة تكثيف الجهود لتسجيل المواقع التاريخية والعناصر الثقافية المصرية على قائمة «إيسيسكو»، باعتبارها جزءاً أصيلاً من الهوية الثقافية الإسلامية، وذلك بعد جهد مصري كبير احتضنه

مبادرة متفردة لتوثيق الأرشيفات الفلسطينية العائلية للحفاظ على الذاكرة الاجتماعية والحقائق

دويدار: مبادرة «حكايات فلسطينية» فعل مقاوم بالأرشفة ونحتاج إلى كل دعم للاستمرار

مشروع لتسجيل التراث الإسلامي برعاية «إيسيسكو» مبادرة مستقلة لنشر فقه العمارة الإسلامية

الحمامي: المبادرات الثقافية القاطرة الأولى لتعزيز الهوية والأولوية ينبغي أن تكون للغة العربية

مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي بمكتبة الإسكندرية الشهيرة عبر مشروع «خريطة القاهرة الإسلامية» الذي استغرق سنوات من أعمال توثيق التراث الإسلامي، نظراً لما تمتلكه القاهرة من آثار إسلامية متنوعة من مختلف العصور الإسلامية.

وفي محاولة لاستكشاف فقه العمران والعمارة الإسلامية، لبيت العمارة والعمران بمصر (مؤسسة مستقلة) مبادرة ثقافية لافتة، تقوم على تنظيم دورة مجانية للمصريين والمقيمين في مصر يقدمها الأكاديمي خالد عزب، المتخصص في فقه العمران الإسلامي، للتعرف من خلال ٨ محاضرات على القواعد التي صاغت العمران والعمارة في المجتمعات الإسلامية وعلى أنواع المنشآت في الحضارة الإسلامية.

وشهد مطلع العام مبادرة ثقافية جديدة من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، تحت عنوان «معاً لمواجهة الإلحاد»؛ للتصدي لشبهات الإلحاد والرد عليها بأسلوب علمي ومنهجي يهدف إلى تحصين المجتمع، من خلال تأهيل الوعاظ والواعظات وتزويدهم بالمعارف والمهارات اللازمة لمواجهة هذا الفكر المنحرف عبر برنامج أسبوعي مفتوح.

أهمية المؤسسات

وفي تعليقه، يرى الكاتب هشام الحمامي، المدير السابق للمركز الثقافي باتحاد الأطباء العرب، في حديثه لـ«المجتمع»، أن تدشين المبادرات الثقافية الهادفة سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي بمثابة القاطرة الأولى للحفاظ على الوعي والهوية في واقع مضطرب ومتغيرات شديدة الوطأة على العالمين العربي والإسلامي، مؤكداً أهمية دعم هذه المبادرات لتكون ذات وجود حي على الأرض وخلفها مؤسسة تنفيذية ترعاها من أجل الاستمرار لا الاقتصار على التدشين والجانب الاحتفالي الاحتفائي فقط.

ويطالب الحمامي بدعم مبادرات الحفاظ على التراث الحضاري للأمة، وبخاصة التراث الفلسطيني، مؤكداً أن التراث إعلان عن الوجود في المكان والزمان، ويتطلب عناية مستمرة عبر العديد من المبادرات التي ترعاها جهات رسمية وغير رسمية، فيما يثمن استمرار الأزهر في إطلاق العديد من المبادرات الثقافية والتوعوية في ظل ظروف تحتم على المؤسسات الدينية بذل كل ما تستطيع لتعزيز الفطرة الإنسانية الحقيقية التي فطر الله عز وجل عليها الناس.

ويدعو الفاعلين في العالم العربي والأمة الإسلامية إلى اعتبار اللغة العربية على رأس أولويات المبادرات الثقافية في الفترة المقبلة، لما تشكله من ركيزة أساسية في الحياة، والتعبير عن الذات العربي الإسلامي، مؤكداً أن اللغة العربية ليست لغة تواصل فحسب، بل هي كما قال المفكر العربي إدوار سعيد: «مخزون حضاري وشاهد على التاريخ العظيم للأمة».■

البراء الثقافي خطوة نحو التحرر الحقيقي

أورهان آقزاده
ماجستير في الإدارة الهندسية

في عالمنا المعاصر، لم تعد الجيوش وحدها هي التي تحتل الشعوب، بل صارت الصور، والمصطلحات، والأزياء، والمأكولات، والاحتفالات أدوات غزو أكثر فاعلية، وأطول أثراً.

وهنا تكمن خطورة الغزو الثقافي؛ لأنه يتسلل إلى داخل النفس، يُعيد تشكيل الذوق، ويقلب معايير الحكم على الأشياء، دون أن نشعر بذلك؛ ولذلك، فإن الحاجة ماسة اليوم إلى إحياء مفهوم البراء الثقافي كخطوة واعية وإستراتيجية في معركة الدفاع عن الهوية والانتماء.

والبراء الثقافي موقف واعٍ يرفض الاندماج التلقائي في ثقافاتٍ مهيمنة تُفرض علينا من الخارج، ويعمل على بناء حصانة داخلية تحمي الذات من الذوبان.

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته الشهيرة إلى ظاهرة عميقة بقوله: «المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب؛ في شعاره، وزيه، ونحلته، وسائر أحواله وعوائده»؛ حيث إن هذا الاندفاع النفسي وراء الغالب لا ينبع من اقتناع فكري، بل من انكسار داخلي يجعل الإنسان يرى ذاته ناقصة، ويرى الآخر الكامل الذي يجب أن يُقلد.

وهكذا تشوّهت أذواقنا ومفاهيمنا الجمالية؛ أصبح الجيد ما هو «غربي»، وأصبح الاحتشام دليل رجعية، وصارت العمارة الإسلامية قديمة، والموسيقى الشرقية مملة، والمنتج المحلي بدائياً.

التطبيع النفسي

قد يتصور البعض أن الغزو الثقافي لا يكون إلا عبر فرض مباشر، أو عبر قرارات سياسية، أو عبر مناهج دراسية مفروضة بالقوة، لكن الحقيقة أن أخطر أشكال الغزو هي تلك التي لا تُرى، ولا تُشعر، ولا تُرفَض، بل يُرَحب بها، وتُستقبل بابتسامة، بل وتُطلب بحماس؛ هذا ما يُعرف بـ«التطبيع النفسي أو التهيئة النفسية للغزو الثقافي»، وهو ما يسبق الاحتلال السلوكي، بل ويفتح له الأبواب من الداخل.

والتطبيع النفسي حالة تكيّف شعوري وذهني تدريجي مع منظومة ثقافية غريبة، تبدأ من التعوّد على وجودها، ثم القبول بها، ثم الدفاع عنها، وأخيراً التماهي معها واعتبارها أمراً طبيعياً أو حتى نموذجاً أعلى، إنه عندما يتحول الرفض الفطري إلى قبول عقلي، ثم إلى إعجاب وجداني، ثم إلى انتماء غير معلن؛ عندها تكون المعركة قد حُسمت من الداخل.

واللغة ليست حيادية، بل هي حامل ثقافي من أخطر بوابات الغزو الثقافي، فاللغة ليست فقط وسيلة

تواصل، وإنما حامل للمنظومة الفكرية والقيمية؛ حين نستخدم كلمات أجنبية في وسط عربي؛ فنحن نتبنى رمزية ثقافية وراءها؛ تعلم لغة الآخر لا يؤدي فقط إلى فهمه، بل كثيراً ما يؤدي إلى تبني رؤيته للعالم؛ لذلك، فإن حماية لغاتنا المحلية واللغة العربية ليست ترفاً لغوياً، وإنما خط دفاع أول عن الهوية.

ونحن اليوم نُشيد بحملات المقاطعة ضد الشركات الداعمة لـ«إسرائيل»، وهذا واجب مشروع؛ لكن السؤال: هل المقاطعة الاقتصادية كافية ما لم تُبنَ على قطيعة وجدانية؟ أن تبحث عن كافيه بديلاً عن «ستاربكس»، فهذا لا يعني أنك تحررت، بل أنك ما زلت تحنُّ لنمط حياتهم، ولكنك تبحث عن نسخة حلال.

إن التحرر الحقيقي يبدأ عندما نقول: لا نريد هذا النمط أصلاً، لا لأنه يضرنا اقتصادياً، بل لأنه يُمثّل ثقافة لا تشبهنا ولا نشبهها.

النبي صلى الله عليه وسلم لم يُغفل هذا البعد الثقافي، بل نبّه إليه في أحاديث واضحة: قال صلى الله عليه وسلم: «من تشبَّه بقوم فهو منهم» (رواه أبو داود)، وقال: «لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» (متفق عليه).

هذا التشبّه لا يقتصر على اللباس، بل يشمل السلوك والذوق والرمز والانتماء، فالتقليد في الظاهر يسبق الانهيار في الباطن.

الانتصار النفسي مفتاح التحرر

قبل أن ننتصر سياسياً أو اقتصادياً، علينا أن ننتصر نفسياً؛ فالمهزوم داخلياً لا يستطيع بناء بدائل، ولا يثق بذاته، ولا يصبر على مشروعه؛ التحرر من الشعور بالنقص أمام الغرب هو أول خطوة نحو بناء نهضة.

يشهد العالم اليوم ما يُمكن تسميته بتوحيد القالب الثقافي العالمي، حيث تسعى قوى الإعلام والترفيه والتكنولوجيا إلى تشكيل ثقافة كوكبية واحدة، بنمط واحد في العيش، والتفكير، واللباس، والطعام، وحتى في شكل العلاقات والمشاعر، لم تعد الهوية الثقافية تُحترم بوصفها تنوعاً حضارياً، بل أصبحت تُرى كعقبة في وجه الانفتاح؛ تُزال الفروق بين الشعوب لا لأجل التفاهم، بل لأجل الهيمنة الناعمة وخلق مستهلكين لا مواطنين، وأتباع لا شركاء.

وكان من نتائج العمل على فرض هذا القالب العالمي الموحد فقدان الشعوب لفرادتها وخصوصيتها، تشكيل إنسان معولم بلا جذور ولا انتماء، يرى نفسه مواطناً في سوق لا في أمة، تشوّه الذوق العام، وذوبان القيم المحلية في بحر من المحتوى المُعلّب، سيطرة غير معلنة للنموذج الغربي باعتباره النموذج الوحيد المقبول والمشروع.

في ظل التحولات الجيوسياسية المتسارعة، لم يعد مفهوم الأمن القومي مقتصراً على حماية الحدود أو مواجهة التهديدات العسكرية، بل أصبح مفهوماً مركّباً يتضمن أبعاداً اجتماعية، واقتصادية، ونفسية، وثقافية؛ ويُعد الأمن الثقافي أحد أبرز هذه الأبعاد، لأنه يُشكّل قاعدة الوعي الجمعي، ويحدد كيف يفكر الناس، وكيف يرون أنفسهم، ومن يوالون، وممن يعادون.

ويمكن تعريف الأمن الثقافي على أنه قدرة المجتمع على صيانة هويته، ولغته، وقيمه، ورموزه، ومرجعياته الفكرية من الاختراق والتآكل، مع تعزيز مناعته الذاتية في مواجهة الغزو الثقافي، سواء أتى بشكل مباشر أو ناعم، ولا بد من النظر إلى الأمن الثقافي كإحدى ركائز الأمن القومي، فمن لا يملك هويته، لا يستطيع الدفاع عنها فالفرد الذي يتبنى قيماً دخيلة لا يرى في وطنه شيئاً يستحق الدفاع عنه، فيسهل عليه التفريط، ولأن السيطرة الثقافية تسبق السيطرة السياسية واختراق العقول يفتح الطريق لاختراق القرارات، والسياسات، والتحالفات، والشعوب المستعمَرة ثقافياً تُصبح مستعمَرة سياسياً ولو ظنّت نفسها حرة، ولأن الثقافة هي ما يصنع الولاء والانتماء فمن يُغذى بثقافة الآخر سينتمي إليه، ولو بقي في جغرافيا مختلفة، لأن الإعلام المعولم يعيد تشكيل المرجعيات اليومية.

ولا بد من تشكيل مراصد الأمن الثقافي، التي تقوم برصد وقياس التهديدات الثقافية، من خلال مؤشرات كمية ونوعية، وجمع بيانات دورية عن الواقع الثقافي والتفاعلات المجتمعية ذات العلاقة بالهوية والانتماء؛ ما يُمكّن صناع القرار من بناء سياسات ثقافية واقية واستباقية.

والبراء الثقافي ليس فقط حماية، بل إعلان ولاء لله والعقيدة وللذات، وهوية، وكرامة، نحن لا نقاطع منتجات فقط، بل نقاطع نمط حياة لا يشبهنا ولا نشبهه، نحن لا نرفض الغرب، بل نرفض أن نصبح نسخاً منه بلا وعي ولا نقد؛ حين نُعيد الثقة إلى الذات، ونبني بدائلنا من داخل وعينا، نبدأ أولى خطوات التحرر؛ وما لم تحصل القطيعة الوجدانية، فإن أي مقاطعة اقتصادية تبقى خطوة ناقصة.■

البراء الثقافي موقف واع يرفض الاندماج التلقائي في ثقافات مهيمنة تُفرض علينا من الخارج.. ويبني حصانة داخلية

قبل أن ننتصر سياسياً علينا أن ننتصر نفسياً فالتحرر من الشعور بالنقص أمام الغرب أول خطوة نحو بناء نهضة

الأمن الثقافي هو قدرة المجتمع على صيانة هويته ولغته وقيمه ورموزه ومرجعياته الفكرية من الاختراق والتآكل

كيف يُصنع المثقف؟

مصطفى عاشور
كاتب ومفكر

تكاد أزمة المثقف من قديم وحتى الآن تكون واحدة، فهو واقع بين خيارات صعبة، إما أن تكون كلمته صوت عقله وضميره وعلمه وقضيته ومجتمعه، وإما أن يكون هو ذاته صوت السلطة أو المال أو القوى المسيطرة، ولعل هذا ما جعل أزمة المثقف شبه دائمة، وجعل من تحديد معنى المثقف موضع اختلاف دائم رغم تغير أسئلة العصر وضروراته.

هنا يطرح سؤال عريض: هل المثقف في عصرنا هو من يمتلك المعرفة والمعلومة، التي صارت في أغلبها تقنية أو إدارية أو علمية في تخصصات الطب والهندسة والكيمياء والمعلومات وغيرها، أم أن المثقف هو صاحب القضية التي تمثل مجتمعه، وصاحب الفكرة التي يكافح عنها، وصاحب المسؤولية التي لا يتخلى عنها؟

في مطلع الثلاثينيات من القرن الماضي، رأى الفيلسوف الإيطالي الماركسي أنطونيو جرامشي، الذي عانى من السجن قرابة ١٠ سنوات إبان الفاشية، أن «وظيفة المثقف في المجتمع لا يقوم بها كل الناس»؛ وهي إشارة إلى نخبوية الثقافة، أما جوليان بندا مؤلف كتاب «خيانة المثقفين» الذي يعد أهم كتاب حول تعريف المثقف ودوره المجتمعي، فقد وضع للمثقف صورة مثالية تجمع بين الأخلاق العظيمة والمعرفة الواسعة ليكون ضمير البشرية.

لكن بندا ألقى تحذيراً عام ١٩٢٧م سبق به عصره، فحذر أن يتحول المثقف ليكون إحدى أدوات

«اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار فنسترزق أهل رزقك ونسأل شرار خلقك، فنبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت من دونهم ولي الإعطاء، وبيدك خزائن الأرض والسماء، يا ذا الجلال والإكرام»، هذا دعاء الفيلسوف الأديب أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ) يشكو قلة المال، ويطلب من الله أن يغنيه، وكان يؤمله أن يتخذ من علمه وأدبه وسيلة لتحصيل الثروة أو رغد العيش أو حتى الحصول على ما يحتاجه، ومع تلك المحنة قرر في نهاية حياته أن يضع نهاية لكتبه فحرق الكثير منها.

هل المثقف في عصرنا من يمتلك المعرفة والمعلومة أم صاحب القضية التي تمثل مجتمعه والفكرة التي يكافح عنها؟

أي مجتمع لا ينهض إلا بوجود مثقفين ذوي رسالة ورؤية وهؤلاء يسبقون مجتمعهم بأفكارهم ليحققوا نقلة عظيمة

رحلة المثقف في بنائه للعقل والوعي لا بد أن تصاحبها جهود لتغيير الواقع ويدرك أن دوره تغييري وليس تنظيريا فقط

من أهم السمات التي يجب أن يتحلى بها المثقف في تكوينه التواضع الناتج عن الإحساس بالمسؤولية أمام الناس

السلطة في تنظيم المجتمع وضبطه أو تبرير سياسات معينة، أو حتى تلطيف الخطاب السلطوي الخشن إلى خطاب يمكن قبوله مجتمعياً، على اعتبار أن المثقف نظراً لمعرفته وقدراته الكتابية والبلاغية قادر على التبرير.

والحقيقة أن المثقف في العقود الماضية أصبح يؤدي وظائف محددة قد تتصل بالثقافة والإعلام والتعليم، وبخاصة في مجالات إنتاج المعرفة ونشرها، كما أن العصر الرقمي فتح الباب للمؤثرين على مواقع التواصل الاجتماعي ليدخلوا في زمرة المثقفين؛ ما زاد الأمر تعقيداً وارتباكاً.

ومع هذا التوسع في إطلاق صفة المثقف في العصر الرقمي، يُلاحظ تواري مفهوم الرسالية والمسؤولية للمثقف، ربما لانصراف انشغال هؤلاء المؤثرين للحصول على أعداد ضخمة من المتابعين وتحصيل الإعجابات.

رسالة المثقف

في كتاب المفكر الراحل إدوارد سعيد «عن المثقفين»، أورد حكاية ذات مغزى على لسان المفكر الروسي إشعيا برلين، قال فيها: إن الكُتَّاب الروس في القرن التاسع عشر، كانت جماهير قرائهم تشعر «أن الكاتب منهم يقف على المسرح ليُدلي بشهادته علناً على الملأ»؛ لأن كلمات هذا الكاتب امتلأت بمواقفه وآرائه، فكان يتمثلها في كل ما يقول ويبدع.

والواقع أن أي مجتمع لا ينهض ويتقدم إلا بوجود مثقفين ذوي رسالة ورؤية، وهؤلاء المثقفون يسبقون مجتمعهم بأفكارهم ليحققوا تلك النقلة الكبيرة في حياة الناس، وهذا يفرض أن يكون المثقف في تكوينه منطلق الفكر، غير مقيد بأغلال تجذبه للواقع الراكد أو الكئيب أو المتردي، وأن يكون مثقفاً قادراً على مواجهة التقاليد البالية، وقادراً على أن يقبر تلك الأفكار الميتة التي تعيق المجتمعات عن القيام بدورها الحضاري؛ وهو ما يعني أن يمتلك المثقف روحاً ثورية حالمة، وضميراً يناصر القيم العليا والأفكار الكبيرة، وأن يقتنع أنه لا مثقف بلا تضحية، فالحكمة الباردة قد تحقق المتعة لكنها لا تغير شيئاً.

ورحلة المثقف في بنائه للعقل والوعي، لا بد أن تصاحبها جهود لتغيير الواقع، ولعل أهم صفة يجب أن يتحلى بها المثقف إيمانه الراسخ بأن دوره تغييري وليس تنظيرياً فقط، دوره أن يسهل نزول المعرفة والفكر في الواقع لتغييره، وليس الانعزال بعيداً ورؤية المجتمع من وراء حجاب، ولذلك كتب د. عبدالوهاب المسيري في سيرته الذاتية أن «المثقف الذي لا يترجم فكره إلى فعل لا يستحق لقب المثقف».

أما المفكر العراقي علي الوردي، فميز في كتابه «خوارق اللاشعور»، بين المثقف والمتعلم، ورأى أن المثقف يتميز بمرونة رأيه واستعداده لتلقي كل فكرة جديدة والتأمل فيها ملياً ليتبين له وجه الصواب منها، أما المتعلم، بحسب رأيه، فإن العلم والتعليم لم يزده إلا تعصباً وانغلاقاً، فإذا «آمن برأي من الآراء أو مذهب من المذاهب فأخذ يسعى وراء المعلومات التي تؤيده في رأيه وتحرّضه على الكفاح في سبيله»، وتلك فكرة نبه إليها أرسطو من قديم، في سمات المثقف فقال: «من مزايا العقل المثقف أنه قادر على التأمل في فكرة من الأفكار من غير أن يقبلها»، وكذلك الأديب الإنجليزي شكسبير بقوله: «وحده المثقف يعيد النظر في نفسه كل يوم، ويعيد النظر في علاقته مع العالم ومع الأشياء كلما تغير شيء في حياته».

ولعل من أهم السمات التي يجب أن يتحلى بها المثقف في تكوينه التواضع، وهذا التواضع ناتج عن الإحساس بالمسؤولية، فهو مثل الطبيب الذي يمتلك الرحمة والعلم لعلاج مرضاه، وإذا تعالى المثقف على مجتمعه؛ فإنه يفقد القاعدة التي يفترض أن يتجه إلى تغييرها أو إصلاحها، لذلك كان الأديب الروسي الشهير تشيخوف يعتبر التواضع من الشروط التي يجب توافرها في المثقف، أما الرؤية الإسلامية فقد تنبهت إلى تلك السمة من قديم، حيث كانت تدعو المثقف إلى احترام العامة والنظر إلى ما فيهم من خير وقوة ونفع ■

الثقافة الإسلامية المعاصرة.. خصائص ومميزات

فرج كُندي
رئيس مركز الكندي للدراسات والبحوث

لكل ثقافة مفهوم خاص بها تتميز به عن باقي الثقافات المجاورة والمعاصرة والسابقة لها، والثقافة الإسلامية ليست بدعاً عن الثقافات الإنسانية من خصوصية المفهوم والخصائص أو المفاهيم والتصورات والأهداف والمنطلقات.

فالثقافة الإسلامية تمثل القيم والسلوك والعلاقات الاجتماعية والصفات والخصائص المستمدة من تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية، التي انبثّت وانتشرت منها هذه الثقافة المتزينة بحلتها الخاصة التي تميزها عن أي ثقافة أخرى.

خصائص الثقافة الإسلامية:

للثقافة الإسلامية خصائص تتميز بها عن الثقافات الأخرى:

أولها: أنها انبثقت من تعاليم الإسلام الغراء؛ فمصدرها إلهي رباني صاغها وشكّلها وفق تعاليم الإسلام، صاغ عقيدتها وتصوراتها في عقول أفرادها الذين أنتجوا هذه الثقافة، وهذا خلاف الثقافات الأخرى التي تعددت وتنوعت، بل تضاربت مصادرها؛ ما جعلها ثقافات يعتريها الخلل

الثقافة الإسلامية تتميز بأنها توازن بين الجانبين المادي والروحي بخلاف الثقافات الأخرى

.. وتتفرد بالقيم والمبادئ والأسس الأخلاقية التي لا تقيم لها الثقافات الأخرى قيمة ولا وزنا

في أكثر جوانبها الإنسانية والأخلاقية والقيمية.

وتتميز الثقافة الإسلامية بأنها تجمع بين التوازن في الجانبين المادي والروحي بخلاف الثقافات الأخرى، التي تعاني من خلل كبير في التوازن بين هذين الجانبين بين الإفراط والتفريط، في حين الثقافة الإسلامية قائمة على التوازن، بل التكامل بين الجانبين بسبب ربانيتها؛ لأن الله خلق الإنسان من مادة وروح؛﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدمُ مما وُصف لكم» (صحيح مسلم)، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، وهذا ما تفتقر إليه الثقافات الأخرى.

تعتمد الثقافة الإسلامية على الإقناع بالبيان والحجة والبرهان، في حين الثقافات الأخرى تفتقر إلى هذه الطريقة الفريدة في الحوار والإقناع دون إكراه أو

أبرز مصادر الثقافة الإسلامية القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة واللغة العربية وآدابها

من خصائص الثقافة الإسلامية: الربانية والشمولية والواقعية والتوازن والاعتدال والثبات والتطور

سفسطة جدلية لا دليل عليها ولا برهان، وتتفرد الثقافة الإسلامية بالقيم الأخلاقية التي لا تقيم لها الثقافات الأخرى قيمة ولا وزناً، بل إن بعضها يرى في القيم قيداً لا معنى له!

الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية؛ لأن الإسلام دين عالمي للناس كافة؛ فهو صالح لكل زمان ومكان وكل بيئة، في حين الثقافات الأخرى محددة بزمان ومكان وأحياناً بلغة أو عرق أو دين، وغير قائمة على قواعد ثابتة مثل ثبات ورسوخ قواعد الثقافة الإسلامية القائمة على الربانية.

مصادر الثقافة الإسلامية:

الأول: القرآن الكريم:

القرآن الكريم منزَّل من رب العالمين، وهذا من أهم خصائص الثقافة الإسلامية؛ فهو الذي تقوم عليه الثقافة الإسلامية لا يدانيه في المنزلة مصدر آخر من المصادر التي انبثقت عنه أو تأثرت به بصورة أو أخرى؛ لذلك، يعد هو أساس الإسلام في منهجه وعلومه وثقافته وحقائقه؛ لأنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢).

وللقرآن الكريم مقاصد عديدة في حياة المسلمين، أهمها هداية الناس إلى الله تعالى؛ لأنه يهدي للتي هي أقوم؛ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(الإسراء: ٩)، ويربي أفراد الأمة على قيمه، ويحثهم على العمل بها والتخلق بأخلاقها لإيجاد الشخصية القرآنية المتكاملة المتوازنة، التي تصنع الثقافة الإسلامية وتعيشها قولاً وعملاً.

ولا يتحقق العمل بالقرآن إلا من خلال تطبيق أحكامه لإيجاد مجتمع ملتزم بقوانينه حتى تتحقق فيه السعادة، ويسود فيه العدل والإخاء، وبالعمل بالقرآن تسود ثقافة العدل والمساواة بين الناس بغض النظر عن الدين أو اللون أو العرق؛ وقال صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أبيضَ، إلَّا بالتَّقوَى».

الثاني: السُّنة النبوية:

تأتي السُّنة النبوية مصدراً ثانياً للثقافة الإسلامية بعد مصدرها الأول القرآن الكريم، فالسُّنة هي المفسر للأحكام الكلية التي جاءت في القرآن الكريم، وقد تُرك البيان والتفصيل والتوضيح إلى السُّنة النبوية الشريفة المبينة والمفسرة له.

وبكون السُّنة المصدر الثاني، فقد كان لها أثرها عبر العصور في صياغة وتحديد وتجديد ملامح الثقافة الإسلامية؛ لأنها كانت موجودة في أذهان وعقول الأجيال الإسلامية التي تناقلتها عبر أجيال الأمة المتلاحقة، وتربّت على هدي القرآن الكريم، ونهلت من معين السُّنة النبوية.

فهي تشكل رصيداً كبيراً من القيم والأخلاق التي تعدّ ملزمة لكل مسلم في جميع شؤون حياته العامة والخاصة، ولذلك لقيت عناية خاصة لكونها المصدر الثاني للثقافة الإسلامية، وما زال هذا الاهتمام يتناقله المسلمون خلفاً عن سلف، كما أمرهم نبيهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخُلَفاء الرَّاشدينَ المَهْديِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ».

الثالث: اللغة العربية:

بكونها الوعاء الذي حفظ كتاب الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولدورها في تشكيل عقل المسلم ووجدانه وطريقة تفكيره، ولدورها في تفسير القرآن الكريم، وفهم الأحكام الشرعية، ولهذا أقبل على تعلمها المسلمون غير العرب؛ لأنها لغة القرآن ولسان الإسلام.

ما تتميز به الثقافة الإسلامية:

للثقافة الإسلامية خصائص عديدة ومتنوعة تجعلها ثقافة ذات أصول وثوابت وقيم تتفوق وتتميز بها على باقي الثقافات منها:

- **الربانية:** فهي ثقافة من عند الله تعالى كاملة غير منقوصة تكفل لمن ينتسب لها ويلتزم بها السعادة، ويستغني بها عن غيرها من أي ثقافة بشرية، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(المائدة: ٣).
- **الشمولية:** بكون الثقافة الإسلامية ربانية؛ فهي شاملة تستوعب كل جوانب الحياة لا تستثني شيئاً منها قليلاً أو كثيراً صغيراً أو كبيراً.
- **الواقعية:** الإسلام دين واقعي، ويتعامل مع الواقع من خلال تقريره للحقائق الموضوعية وفق حقيقتها وموضوعيتها، لا على الخرافات والأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان.
- **التوازن والاعتدال:** الثقافة الإسلامية ثقافة متوازنة قائمة على الاعتدال وإعطاء كل ذي حق حقه بلا إفراط أو تفريط، مع توازن في علاقة العبد مع خالقه؛ فالعبودية له وحده مطلقة، ومقام الإنسان هو العبودية لله وحده.
- **الثبات والتطور والإيجابية:** تتميز الثقافة الإسلامية بالثبات فيما يتعلق بالعقائد والحقيقة الإلهية وقطعيات الدلالة والثبوت من القرآن أو السُّنة، فهي ثابتة وغير قابلة للتطوير أو التغيير، وفيما يتعلق بالتطور فهو خاص بكل ما ينتجه العقل البشري ما دام صالحاً، ويتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية ويحقق المصلحة سواء كانت خاصة أو عامة فهي إيجابية.

هذا جوهر الثقافة الإسلامية إذا تمسكنا وعملنا بالجوهر؛ سوف ينعكس على المظهر، وإذا توافق المظهر مع الجوهر تحقق السؤدد، وسادت الثقافة الإسلامية، وأخذت مكانة الصدارة بين الثقافات الأخرى ■

مقاربة المفاهيم الإسلامية.. والتغوّل المعرفي العالمي الحديث

د. محمود خليل
مدير إذاعة القرآن الكريم سابقاً- مصر

وسط عالم مفتوح بلا حدود، متغول بلا قيود، متوحش بلا أخلاق، تمثل سلطة إنتاج المعرفة فيه رأسماله الذي يجب أن يمتد ويشتد، حتى غدت إحصاءات الدلالة المرعبة لهذا التدفق، تكاد تسير في اتجاه واحد.

فمن بين ١١٨ مليار تغريدة من عام ٢٠٠٩ إلى عام ٢٠١٩م، أظهرت أن ٨٠٪ منها، كان بلغات مثل الإنجليزية والإسبانية والفرنسية واليابانية؛ ما يدل على هيمنة المحتوى الغربي على المنصات الرقمية، إضافة إلى الدلالات المخيفة السابقة، لمعدلات القراءة التي لا تتجاوز ٠,٠٨٪ في بعض الدول العربية والإسلامية، وكذلك الميزانيات المرصودة للثقافة والبحث العلمي التي لا تكاد تصل في بعض الدول إلى ٠,٠٢٪؛ ما يشير إلى مستقبل معلوماتي مفزع إلى أبعد الحدود.

ولعل أخطر منتجاته واقعياً اتساع الفراغ بين الأجيال، وعمق الهوة الرقمية التي سيصعب ردمها، إن لم يكن مستحيلاً فيما بعد.

ومنذ طرْح أحادية النظام العالمي الجديد، أوائل التسعينيات من القرن الماضي، والميل الواضح إلى «أمركة» العالم، ضمن الرؤى والفلسفات السابقة والمواكبة لهذا المسار الأحادي؛ من صدام الحضارات، وصراع الثقافات، وأدلجة رؤى برنارد لويس، وصمويل هانتجتون، وفرانسيس فوكوياما.. وغيرهم، ممن أصّلوا وفصّلوا لمسألة قطار التاريخ، والسعي إلى اعتماد القوة، والقوة المفرطة، في قولبة الكوكب، وبسط مسودات إنفاذ السلام، والحريات، والحقوق، عبر اعتماد ذراع القوة، وإلغاء العمل الخاص بذراع المقاومة، في أي قضية، وأي مكان من العالم.

ومع لملمة روسيا لأوراقها من جديد، وتغولها على كل عمليات ومبادرات النهوض الإسلامي لدول الكومنولث السوفييتي الإسلامية، ومع قيام الصين كمحور عالمي قادم، بنفس العمل تقريباً مع مسلمي الإيغور وإقليم تركستان الشرقية، ومحاولة كل دول أوروبا تقريباً بإنتاج و«أوربة» إسلام جديد، منزوع الدسم، ومع تخبط التوابع العربية والإسلامية في نفس المسير والمصير؛ برزت على السطح -بعدما تشعبت في الطول والعرض والعمق- إشكالية عميقة تتعلق بكيفية فهم واستيعاب المفاهيم الإسلامية الأصيلة، ضمن هذا السياق العالمي المتحفز المستطير، الذي تهيمن عليه أنساق معرفية مادية، وعلمانية حداثية، وما بعد حداثية، تؤثر على طريقة إنتاج وتداول المعرفة، واستحقاقاتها في ميادين التربية، والتعليم، والتكوين، والتثقيف والبحث، والدرس، والسياسة، والأدب، والدين والأخلاق.

هذه الموجات المتسارعة، من استفراد هذا الجناح «المتأمرك» من العالم بالآخرين، جعله يفرض عليهم فرضاً جبرياً، مفاده «من ليس معنا، فهو ضدنا»!

بل ودفعه ذلك الغرور الحضاري إلى أن يخوض ٧ حروب كبرى بالمنطقة لحسابه، على أراضي الغير من ضحاياه، ومحل أطماعه بالمنطقة؛ ما أسفر عن تبديد ثروات وكنوز قلب العالم، وارتداد شعوبها ٤٠ عاماً إلى الخلف، وانشعابها أمماً وأقواماً شتى، وإذهاب ريحها، وتفكيك بناها، وتحطم قواها، ومصادمة كل تطلعاتها، إلا ما يصب منها في حقائبه، وينضوي تحت رغائبه.

من هذه التحوّلات المتسارعة التي يقودها النظام العالمي المهيمن القائم على العولمة؛ هيمنته على المعلومة والتقنيات الرقمية المنتجة لها، وفرض أنظمة التفكير المادي، ودهس كل ما يحول دون تحقيق هذا النهج المتوحش من الاقتصاد، والإدارة والسياسة والثقافة والفنون والآداب.

تغول معرفي

هذا الواقع أنتج تغوّلاً معرفياً جارفاً، حيث فرضت منظومات فكرية وثقافية تصوّراتها ومفاهيمها كمعايير كونية؛ ما يضع المفاهيم الإسلامية أمام تحدّيات جدّية، من حيث التفاعل أو المقاومة، أو التوافق أو المصادمة.

هذا التغوّل المعرفي أدى إلى سيطرة منظومة معرفية معينة على باقي المنظومات، وفرض مرجعيتها ومعاييرها في تفسير الإنسان والكون على باقي المرجعيات، وهيمنة النموذج الغربي الحداثي وما بعد الحداثي على الحقول العلمية، والأنساق الفكرية، والمناهج العلمية، والنظرة للوجود والمعنى، والحياة والإنسان.

كل ذلك على حساب المفاهيم الإسلامية، ذات البنية الخاصة والنظام المرجعي المغاير، ذلك أن المفاهيم الإسلامية نابعة من الوحيين؛ القرآن والسُّنة، إلى جانب تميّزها ببنية تكاملية، تشمل الروحي، والأخلاقي، والمعرفي، والسلوكي؛ كالتوحيد، والأمة، واللغة العربية، والشورى، والتراث، والعدل، الرحمة، والخلق، والاستخلاف، والموت والقيامة، والجنة والنار.

وكلها مفاهيم دلالية عميقة ومتجذرة، ولا يمكن اختزالها في مفاهيم حداثية مقابلة، أو في الجامعة، التعاطي معها بعيداً عن مصادر استمدادها العالية، من القرآن والسُّنة والسيرة النبوية والفقه والوعي والأصول.

أدى ذلك التغوّل السياسي، والاستفراد القطبي، إلى ما يشبه الانتهاك المعرفي للمفاهيم الإسلامية، خاصة مع وعي الغرب القديم، بمحصوله الاستعماري للمنطقة جميعاً، ومهاراته الظاهرة والخفية، في تأسيس وتسييس الجماعات الوظيفية لحماية ورعاية المصالح؛ مما أدى إلى:

- خلخلة المرجعية، بالشغب الدائم على المرجعية الإسلامية الصافية والوافية والكافية.
- اعتماد سياسة التفكيك، وتضارب المرجعيات، وتأجيج الصراع السُّني الشيعي.
- إشعال الصراعات العرقية، والإثنية، بالمنطقة.
- إثارة مشكلات وحروب الحدود، واللعب على الدعم الدولي والتدخل الخارجي بشأنها.
- الشغب العمدي على التراث، والانطلاق منه إلى المطلق، وشغل الفضاء الثقافي، بل وتوريطه في هذه الهزات الارتدادية، المتتابعة والمنظمة والمحمية.
- تبديل المفاهيم، خاصة ما يخص المرجعية من الوحيين، والمرأة، والتراث، والهوية، واللغة، والحضارة.

عوامل للمقاومة

وللخروج من الأسر، ولكسر ذلك الطوق، يجب العمل على ما يلي:

- إعادة الوعي العام والخاص إلى مركز الدائرة، من حيث الذات والهوية.
- حماية المرجعية، بعد التوافق عليها، والاتفاق على اعتبارها مشروعية عليا للأفراد والمجتمعات.
- إعادة بناء الوعي، واعتماد مشاريع الانعتاق الحضاري، ورفع درجة وجوبيتها إلى الصدارة من سلم الأولويات.
- تحرير المفاهيم الإسلامية من ربقة الأسر الغربي.
- العمل المؤسسي والمجتمعي على إعادة إنتاج المعرفة، واستصلاح حقولها، بناء على منظومة إسلامية واعية، تنتج نظاماً حضارياً إسلامياً أصيلاً، يسعى الرواد مع الأمة إلى تحقيقه، ولا ينوبون عنها فيه.

فالقضية الآن إنما هي فعل لا رد فعل، وشهودٌ لا مشاهدة، وتدافع لا تراجع، فالكون لا يعرف السكون، والطبيعة لا تعرف الفراغ، ومن لا يتقدم حتماً سيتقادم. ■

واحـــــة الشعراء

نصف قرن من «المجتمع»

شعر: أمين حميد عبدالجبار

نصفُ قـــرْنٍ منْ بَيَـــانٍ مُمتعِ ... منْ سنـي إبْدَاعِهَـا «المُجْتَمَع»
ثُمَّ خَمْسًـا لاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهَـا ... خَطَّهَـا كُـلُّ أَديـبٍ مُبْدِعُ
مُنْذُ قَالَ الصَّيْـدُ كُونِي دَعْـوَةً ... فِي سَبِيـلِ اللهِ بالحَقِّ اسْطَعِي
لَمْ تُسَـــاوِمْ أَوْ تَحِدْ عَنْ دَرْبِهَـا ... أَوْ تُغَـــادِرْ أَوْ تَمِـلْ أَوْ تَرْكَـعِ

❖❖❖❖❖

فِي رِكَـــابِ الحَـقِّ سَارَتْ كَلِمَةٌ ... تَنْشُرُ النُّـــورَ يَمِينًـا وَشِمَالْ
وَلأَقْصَـــى الأَرْضِ ذَاعَتْ فِكْرَةٌ ... لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ فِي السَّيْرِ المَحَالْ
مِنْ كِتَـــابِ اللهِ فِي آيَاتِـــهِ ... نَهْجُهَا السَّاعِي لِإِدْرَاكِ الْكَمَالْ
وَمِنَ الْهَـــادِي وَمِنْ سِيـرَتِهِ ... تَقْتَفِـــي السَّيْرَ لِإِدْرَاكِ المَنَالْ

❖❖❖❖❖

سَائِـــلِ التَّارِيخَ عَنْ أَعْلَامِهَا ... عَنْ كَبِيرِ الْقَوْمِ عَبْدِ اللهِ الْعَلِيّ
مَنْ أَقَـــامَ الصَّرْحَ مَعْ إِخْوَانِـهِ ... بَاذِخَ الرِّفْعَـةِ كَالنَّجْمِ الْجَلِيّ
حَيْـثُ شَادُوهَـا لِتَغْدُوَ مَجْمَعًا ... لِلنَّحَارِيـرِ الأُبَـاةِ الْكُمَّـلِ
فَغَـدَتْ مِثْلَ الَّذِي قَدْ قَصَدُوا ... وَاحَـةً لِلْفِكْـرِ زَاهِي الحُلَلِ

❖❖❖❖❖

مِنْ كُوَيْتِ الْخَيْرِ سَارَتْ كَالنَّدَى ... تَحْمِـلُ الْغَيْـثَ إِلَى كُلِّ الدُّنَا
وَيُنِيـرُ الأُفْقُ مِنْ أَحْرُفِهَـــا ... وَهِيَ تَجْتَـــازُ الْقُرَى وَالْمُدُنَا
عَالَجَـــتْ فِي حِكْمَـةٍ وَالْتَزَمَتْ ... فِي الْمَوَاعِيظِ الطَّرِيقَ الأَحْسَنَا
صَابَرَتْ وَاصْطَبَـرَتْ فِي سَعْيِهَا ... جَعَلَـتْ بَعْضَ الْعِلَاجِ الزَّمَـنَ

❖❖❖❖❖

وَهِيَ فِي الدَّرْبِ عَلَى عَهْدِ الأُلَى ... جَعَلُـــوا لِلَّهِ مَحْيَـــا وَمَمَاتْ
تَقْطَـــعُ الْعَهْدَ بِأَلَّا تَنْثَنِي ... عَنْ مَسِيـرِ الْقَوْمِ عَهْدًا وَثَبَاتْ
تَسْبِـــقُ الْعَصْرَ إِلَى مَا خَطَّهُ ... عَقْلُهُ السَّابِـرُ فِي عُمْقِ الْحَيَاةْ
يَنْثُـــرُ النُّـورَ عَلَى صَفَحَاتِهَا ... صَفْـــوَةُ الْفِكْرِ وَأَعْلَامُ الدُّعَاةْ

❖❖❖❖❖

وَإِذَا حَـــوَّاءُ رَامَـــتْ أَنْ تَرَى ... دَرْبَهَا الْهَادِي إِلَى أَهْدَى سَبِيلْ
فَلَدَى الْمُجْتَمَعِ النُّـــورُ الَّذِي ... يَقْطَعُ الدَّرْبَ عَلَى ضَوْءِ الدَّلِيلْ
فِي كِتَـــابِ اللهِ لِلأُنْثَى كَمَـا ... لِأَخِيهَـا وَارِفُ الْعَيْشِ الظَّلِيلْ
هَاهُنَا أُخْتَـــاهُ أَسْمَى مَنْهَجٍ ... يُسْعِدُ الْقَلْبَ وَيَسْمُـو بِالْعُقُولْ

❖❖❖❖❖

وَإِذَا الأَبْـــنَاءُ شَاؤُوا أَنْ يَرَوْا ... فِي بَنِيهِـمْ حُلْمَ الْعُمْرِ حَقِيقْ
فَهُنَـــا الْمُجْتَمَعُ الْحُرُّ الَّذِي ... هُوَ بِالنَّشْءِ حَفِـــيٌّ وَرَفِيقْ
قَصَّـــةٌ عَاطِـــرَةُ الْمَعْنَى إِذَا ... قُرِئَـــتْ أَوْرَثَتِ الذَّوْقَ الأَنِيقْ
وَقَصِيدٌ نَاضِرٌ قَدْ نُظِمَـــتْ ... مِنْهُ أَبْيَـــاتٌ كَحَبَّاتِ الْعَقِيقْ

أمعاء خاوية وضمائر نائمة.. غزة تتضور جوعاً!

تعيش غزة اليوم حالة إنسانية صعبة جداً، حيث تفاقمت أزمة الغذاء إلى حد المجاعة، في ظل حرب مستمرة منذ أكتوبر ٢٠٢٣م؛ أثرت بشكل مباشر على البنية التحتية، والإمداد، والقدرة على الوصول إلى الغذاء والماء والدواء.

لقد بات الخبز حلماً، والماء النظيف رفاهية، والوجبة الكاملة نادرة كهدنة دائمة، ليس من قبيل المبالغة القول: إن سكان غزة يعيشون مجاعة حقيقية، وإن سياسة التجويع الصهيونية لم تعد وسيلة ضغط، بل أصبحت أداة حرب ممنهجة، تهدف إلى سحق صمود هذا الشعب، وكسر شوكته، بعد أن استعصى على الكسر بالسلاح والنار.

إياد القطراوي
أستاذ العلوم السياسية الفلسطيني

الحرب المستمرة على غزة منذ نحو ٢٢ شهراً، فاقمت الوضع الإنساني إلى مستويات كارثية، إذ شددت دولة الاحتلال الصهيوني حصارها على غزة، فأغلقت المعابر، وقطعت المساعدات والإمدادات الغذائية وعلى رأسها الطحين، ومنعت المؤسسات الدولية من العمل بحرية، وشيطنت وكالة الغوث الدولية، ودمرت البنية التحتية، وقصفت مخازن الغذاء، والتكيات والمخابز، والأسواق ومحطات المياه ليعيش ٢,٣ مليون فلسطيني تحت مقصلة جوع لم يحدث له مثيل في تاريخ البشرية، على وقع صمت دولي وخذلان عربي وتحت مرأى ومسمع العالم الظالم.

سياسة تجويع.. الأسباب الحقيقية:

- الحصار والقيود على الإمدادات:

غزة تحتضر وتتجه نحو كارثة إنسانية شاملة وغير مسبوقة.. جراء الإجرام الصهيوني

فالحصار الصهيوني المشدد على غزة، إلى جانب القيود المصرية على معبر رفح، قلّل بشكل كبير من دخول المواد الغذائية والطبية، حتى المساعدات الإنسانية كانت تصل بوتيرة بطيئة، وتتعرض أحياناً للنهب أو التأخير بسبب الوضع الأمني.

- تدمير الأراضي الزراعية والمرافق الحيوية: إن استهداف المناطق الزراعية ومرافق تخزين المواد الغذائية، والمخابز والأسواق التي تم تدمير العديد منها كلياً أو جزئياً؛ أدى إلى انقطاع الخبز وارتفاع أسعار

المواد الغذائية بشكل جنوني، وانعدام الإنتاج المحلي.

– النزوح الجماعي وانهيار الأسواق: لقد أدت الحرب إلى نزوح أكثر من ٨٠% من سكان غزة من منازلهم؛ ما ساهم في تفكيك الأنشطة الاقتصادية والأسواق المحلية، وأصبح من الصعب تداول الغذاء حتى لو توفر.

– منع إدخال الوقود: وهو عصب الحياة لتشغيل المخابز والمستشفيات، وتستخدمه دولة الاحتلال كعقوبة جماعية تضرب بها صميم الحياة اليومية للمدنيين، وتستهدف أبسط مقومات البقاء.

– استهداف الشاحنات والمستودعات التي تحتوي على مواد إغاثية: والهدف من ذلك تعميق الجوع، ومحاصرة الجوعى والمرضى وتركهم بلا طعام ودواء، وإغلاق أبواب الأمل أمامهم.

– غياب الحوكمة والرقابة: لقد أدى الانهيار التام في منظومة الحكم والإدارة المحلية، وصعوبة التنسيق بين الجهات الإغاثية والسلطات على الأرض إلى ضعف توزيع الغذاء والموارد على السكان، كما أدى غياب الرقابة والمتابعة من قبل وزارة الاقتصاد إلى احتكار التجار للسلع الأساسية، ورفع أسعارها بشكل خيالي وجنوني حد من قدرة المواطنين على شرائها.

أرقام وإحصاءات صادمة:

غزة تحتضر، وتتجه نحو كارثة إنسانية شاملة وغير مسبوقة، حيث تشير التقارير الأممية والمنظمات الدولية والميدانية والصحية إلى:

– أن سكان غزّة دخلوا المرحلة الخامسة من مؤشر المجاعة؛ وهي المرحلة الأشدّ والأخطر؛ حيث لا طعام، ولا ماء، ولا قدرة على البقاء؛ ما يعني موت الناس جوعاً.

– أن جميع سكان قطاع غزة باتوا يعانون من انعدام حاد في الأمن الغذائي، وأكثر من مليون شخص يواجهون خطر المجاعة.

– وفاة ٧٣ طفلاً جراء سوء التغذية الحاد جراء المجاعة، و٦٢٠ مدنياً على الأقل، نتيجة الجوع ونقص الرعاية الطبية.

– وفاة عشرات الرضع بسبب انعدام الحليب والماء، في حين أن أكثر من ٥٨٠٠ طفل يعانون من سوء تغذية حاد وهم عرضة للموت في أي لحظة.

– ١ من كل ١٠ أطفال تم فحصهم من أصل ٢٤٢ ألفاً يعاني من سوء تغذية، فيما أكثر من ٦٠٠ ألف طفل في خطر جسيم.

– ١ من كل ٣ أشخاص لا يأكل لعدة أيام متتالية.

– ٩٩٥ مدنياً استشهدوا في سلسلة مجازر أثناء انتظار المساعدات الغذائية أمام مراكز توزيع المساعدات الإجرامية.

– أن سعر كيلو الدقيق في السوق السوداء بلغ نحو ٥٠ دولاراً، نتيجة الحصار وانعدام التوريد!

نتائج وتداعيات كارثية:

– وفاة المدنيين جوعاً: فقد تم توثيق حالات وفاة بسبب الجوع، وهو مؤشر خطير على دخول القطاع في مرحلة «المجاعة الكاملة»، بحسب التصنيفات الدولية.

– انتشار سوء التغذية الحاد خاصة بين الأطفال: حيث تشير تقارير الأمم المتحدة إلى أن آلاف الأطفال يعانون من الهزال وسوء التغذية الحاد؛ ما يعرّض حياتهم للخطر.

– انهيار الصحة العامة: مع الجوع يأتي الضعف المناعي؛ ما يؤدي إلى تفشي الأمراض، خصوصاً بين النازحين الذين يعيشون في ظروف غير صحية.

– إضعاف دور المنظمات الدولية: لصرفها عن دورها المنوط بها في إغاثة المواطنين، وتقديم المساعدات الطارئة لهم، من خلال منعها من ممارسة دورها، وتحييد قدرتها على توفير الإغاثة عبر المعابر المغلقة، التي تتحكم فيها دولة الاحتلال.

وفي المقابل، تُصدر هذه المنظمات تقارير متكررة عن انهيار الأمن الغذائي، لكن من دون أدوات ضغط حقيقية على الاحتلال؛ أي توصيف للمأساة لا حلها.

الصمت العربي.. الغياب القاتل:

ربما أكثر ما يوجع أهل غزة، ليس فقط القصف والجوع، بل هذا الخذلان العربي العميق، فالغائب الأكبر عن هذه المأساة هو الضمير العربي الرسمي، ذلك الضمير الذي اعتاد الغياب في لحظات الحق، وتوارى خلف جدران الصمت حين كان الصوت فرضاً، وكأنّ الدم الفلسطيني لم يعد كافياً لاستفزاز وإيقاظ ضميرهم.

لقد واجه العرب هذه المجاعة في غزة بصمت مريب من بعض الأنظمة، وبيانات شجب باهتة، وبعضها الآخر منخرط في التطبيع والانشغال بحسابات إقليمية ضيقة، بينما يتجاهل مشهد أطفال يبحثون عن الفتات في الأنقاض.

غزة اليوم تُترك لتجوع، وتُقصف، وتُدمّر، بينما العواصم العربية منشغلة بمعارك إعلامية أو اقتصادية لا مكان فيها لفلسطين،

أكثر ما يوجع أهل غزة ليس فقط القصف والجوع.. بل هذا الخذلان العربي العميق!

استمرار هذا الوضع جريمة أخلاقية وإنسانية تتطلب تحركاً عاجلاً من المجتمع الدولي

بل إن بعض الأنظمة شاركت ضمنياً في تشديد الحصار، سواء عبر إغلاق المعابر أو التضييق على دخول المساعدات.

حتى التحركات الشعبية في بعض الدول يتم قمعها أو احتواؤها، شعوبٌ غاضبة، نعم، لكن الإرادة مسلوبة، والتضامن الفعلي لا يتجاوز منشوراً على منصة تواصل؛ ما يزيد من شعور أهل غزة بأنهم محاصرون من البحر والبر والخذلان.

التواطـــــؤ الدولي.. وازدواجية المعايير:

في مواجهة هذا الواقع الكارثي، يلوذ المجتمع الدولي بالصمت، بل بالتواطؤ، مؤتمرات تُعقد، وتقارير تُكتب، لكن لا ضغط حقيقياً يُمارس على الاحتلال لوقف سياساته التجويعية.

المعابر التي يجب أن تكون شرايين حياة، تُغلق ويتم التحكم بها عبر صفقات سياسية ومواقف مزدوجة المعايير، أما المنظمات الإغاثية، فإنها تُمنع من ممارسة دورها وتُقيد حركتها، بينما تزداد أرقام الجوعى والمشردين.

ومنذ بداية الحرب لم يتحرك المجتمع الدولي، والمنظمات الدولية تكتفي ببيانات التحذير، لكنها لم تستطع الضغط على دولة الاحتلال أو تفرض عقوبات عليها، ولم تستخدم نفوذها في جبر الاحتلال على فتح المعابر أو وقف منع المساعدات.

إن استمرار هذا الوضع يمثل جريمة أخلاقية وإنسانية، تتطلب تحركاً عاجلاً وفعالاً من المجتمع الدولي لوقف الكارثة وتفادي المزيد من الوفيات بين الأبرياء، وعليه فالمطلوب عالمياً ودولياً وفورياً العمل على وقف إطلاق نار فوري وإنساني لتمكين دخول المساعدات، وفتح المعابر بشكل دائم أمام الإغاثة الإنسانية، ووقف سياسة التجويع، ومحاسبة المسؤولين عن تفشي المجاعة عبر الآليات القضائية الدولية. ■

أهل غزة يموتون جوعاً وعطشاً دون أن يغيثهم أحد!

غزة- بهاء الدين محمود:

تشتد الأزمة الإنسانية في قطاع غزة يوماً بعد يوم جراء استمرار الحرب وتشديد الحصار وإغلاق المعابر للشهر الخامس على التوالي؛ الأمر الذي عمق من المشهد الإنساني وبات السكان عاجزين على توفير قوت يومهم؛ ما أصابهم بالتعب والإغماء، وبدأت تظهر عليهم أمراض سوء التغذية.

ومنذ عدة أيام، نفد كل شيء من الأسواق، وأهمها الدقيق؛ حيث اختفى تماماً ولم يعد يتوفر أي شيء من الطعام يتناوله السكان، خاصة أن الدقيق الوجبة الرئيسة ما دون هوامش بالنسبة لسكان غزة الذين أصبح الحصول على رغيف خبز حلماً تحقيقه شبه مستحيل.

ومع اشتداد الأزمة، وعدم تمكن العائلات من توفير الطعام لعوائلهم، قالت وزارة الصحة بغزة: إن عدداً كبيراً من المواطنين باتوا يصلون إلى المستشفيات في حالة تعب وإرهاق وإغماء نتيجة عدم تناولهم الطعام لأيام، محذرة من كارثة إنسانية كبيرة وموت جماعي للسكان حال استمرت الحال على ما هي عليه الآن.

مراسل «المجتمع» بغزة التقى عدداً من الفلسطينيين للحديث عن أوضاعهم، وكيف يدبرون قوت يومهم في ظل هذه الأزمة، حيث أكدوا عدم قدرتهم على توفير أي شيء.

المواطن علاء حمدان قال: إنه رب أسرة لـ٨ أفراد؛ أكبرهم يبلغ من العمر ١٦ عاماً وأصغرهم ٣ سنوات، يقول: إنه بشكل يومي يحتاج إلى ٤ كيلوجرامات من الطحين من أجل إطعام أولاده، لكنه أكد أنه منذ شهر وهو بصعوبة بالغة يتمكن من توفير كيلو دقيق واحد فقط، وهذا الكيلو يصنع ١٠ أرغفة فقط؛ أي أن كل فرد من أفراد الأسرة نصيبه رغيف واحد فقط باليوم! وهي حصة قليلة جداً، وهذا فقط من أجل إبقائهم على قيد الحياة.

وأضاف أنه وعائلته فقدوا أوزانهم وأصابتهم الأمراض وسوء التغذية، مشيراً إلى أنه خلال الأيام الماضية وبعد نفاد الدقيق والأرز وكل شيء من الأسواق لم يأكلوا شيئاً، موضحاً أنه حال توفير الدقيق فإن سعر الكيلو الواحد تجاوز ٥٠ دولاراً! وهذا المبلغ لا أحد يستطيع توفيره في ظل الظروف الراهنة وقلة العمل نتيجة هذه الحرب.

وقال حمدان: إنه أيضاً يعاني من شح المياه التي زادت أزمتها مع حلول فصل الصيف وفي ظل ارتفاع درجات الحرارة خارج الخيمة وداخلها التي أصبحت عبارة عن فرن، وفي مثل هذه الأجواء يحتاج الشخص إلى الماء ليروي عطشه ويلطف من الأجواء الحارة، لكن هذا الشيء غير متوفر، حيث بصعوبة بالغة توفر المياه المالحة المخصصة لغسل اليدين والأواني، أما المياه الصالحة للشرب فالحصول عليها بمشقة كبيرة، حيث يقطع مسافات هو وأبناؤه من أجل توفير كميات قليلة من الماء لا تكفي ليوم واحد فقط.

وأعرب حمدان عن أمله في أن تنتهي الحرب قريباً وتدخل المساعدات الإنسانية ويتم إصلاح ما دمرته الحرب من أجل أن يعيشوا بأمن وسلام، ويستطيعوا التقاط أنفاسهم التي قطعت من شدة التعب والإرهاق.

ولم يختلف حديث المواطن بلال على عن نظيره حمدان الذي أكد أن الأوضاع الإنسانية تفاقمت بشكل غير مسبوق، وبات غير قادر على توفير الطعام لعائلته المكونة من ١٣ فرداً، وقال: قبل الحرب كان استهلاكنا اليومي من الطحين فقط ٥ كيلوجرامات، و«كنا عايشين ومبسوطين»، صحيح الوضع الاقتصادي كان

صعباً، لكن الأمور كانت ميسَّرة، والحمد لله كنا ندبر أمورنا.

ويضيف: أما الآن في ظل الحرب لسنا قادرين أن نوفر كيلوجراماً واحداً من الطحين نأكله من أجل أن نبقى على قيد الحياة، موضحاً، والدموع تذرف من عينيه، أنه كل يوم في الصباح الباكر يخرج من خيمته على أمل توفير شيء يطعم به أولاده، لكن يعود بخفي حنين!

وأكد بلال أنه خلال الأشهر الماضية كان يعتمد في طعامه على التكايا الخيرية، ويحصل على وجبة طعام واحدة في اليوم، يقول: إنها قليلة لكن أي حاجة نسد جوعنا بها، مؤكداً أنه الآن بعد اشتداد الأزمة ونفاد كافة السلع الغذائية والتموينية من الأسواق أغلقت التكايا الخيرية، وباتوا لعدة أيام لا يجدون شيئاً يأكلونه؛ ما أصابهم بالأمراض وسوء التغذية.

وقال: غير أزمة الطعام توجد أزمة الماء؛ حيث بصعوبة بالغة يحصلون على الماء سواء الصالح للشرب أو المخصص للغسيل والاستحمام.

وأوضح أنه نازح في منطقة المواصي غرب مدينة خان يونس، ويتكدس بالمخيم مئات العائلات، وحالهم كحاله لا يتوفر الماء ويقطعون مسافات طويلة للحصول عليه، وأحياناً ينتظرون ساعات طويلة دون الحصول على كميتهم التي تكفيهم ليوم واحد؛ ما يجعلهم يشربون كميات قليلة، ما أصابهم بالأمراض كالصداع والدوخة، خاصة أن الجسم في فصل الصيف يحتاج إلى السوائل لتعويض النقص والإفرازات التي خرجت من الجسم.

وناشد بضرورة التدخل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه مما تبقى من سكان غزة، مضيفاً أنه من لم يمت من الصواريخ والقصف والقتل سيكون مصيره الموت من العطش والجوع!

وفي تزايد تدهور الأوضاع الإنسانية في القطاع، حذرت مؤسسات دولية وأخرى محلية من خطورة ما آلت إليه الأوضاع بغزة، داعية إلى فتح ممرات إنسانية عاجلة برية وجوية لإدخال المساعدات بشكل عاجل لإغاثة المحتاجين وتوفير أبسط مقومات الحياة لأكثر من مليوني فلسطيني يعيشون في قطاع غزة الذي دمرته آلة الحرب «الإسرائيلية»، وأصبح عبارة عن كومة من الركام لا يصلح للحياة الآدمية.■

خطاب أبو عبيدة.. نداء الأمة الأخير

إبراهيم المدهون

بعد ما يقارب العامين من حرب الإبادة التي لا تزال مستعرة في قطاع غزة، وبعد ٤ أشهر من التجويع المتعمد والقصف الوحشي والاستهداف المنهجي لكل ما هو حي، من القادة إلى الأطفال، ومن النساء إلى الشباب، في ظل نزوح جماعي وانتشار الجوع والمرض والإنهاك، طلَّ علينا الناطق باسم «كتائب القسام»، أبو عبيدة، في ١٨ يوليو ٢٠٢٥م، بخطاب يمكن وصفه بأنه «تاريخي» بكل المقاييس.

خطاب حمّل فيه الأمة العربية والإسلامية، بكل وضوح، مسؤولية ما يجري في غزة، وساءل قادتها وعلماءها أمام الله وأمام ضمائرهم، في لحظة مصيرية عظيمة، لم يتردد خلالها في توجيه العتاب واللوم، دون أن يغادر مربع القوة والثبات.

ورغم كل هذا العتب، ورغم مشاعر الخذلان، جاء خطاب أبو عبيدة ليؤكد أن «كتائب القسام» لا تزال واقفة على أرض صلبة، وأنها تمتلك رؤية وإستراتيجية واضحة، هدفها إيقاع خسائر فادحة في صفوف الجنود «الإسرائيليين»، وأن الدبابات التي يظن العدو أنها تحميه، لن تنقذه من المصير المحتوم في غزة، فهناك، لا ينتظرهم سوى الموت، مهما فعلوا، ومهما قتلوا ودمروا وأبادوا.

ما قاله أبو عبيدة لم يكن مجرد تحدٍّ، وإنما إعلان لمرحلة جديدة، ومن يتابع المشهد يدرك أن «كتائب القسام» اليوم في أفضل حالاتها منذ أكثر من عام، وأنها أعادت ترتيب أوراقها بهدوء، وأعدت العدة لمفاجآت قادمة.

فقط ظهوره، بهذا التوقيت، هو بحد ذاته رسالة بأن «القسام» لا تزال حاضرة، قوية، وفاعلة، وأن يدها على الزناد، وعقلها على التخطيط، وجهازها العسكري العملياتي لا يزال ممسكاً بزمام المبادرة، وهذا وحده كفيل بإعلان فشل الحرب على غزة، وفشل رهان الاحتلال على الجوع والتدمير كوسيلة لحسم المعركة.

بل على العكس، يبدو أن هذا الخطاب هو تمهيد لما هو آت، فالمقاومة ترفض الخرائط التي طرحت عليها، وتدرك خطورتها، ومعها ترفضها الفصائل وكل من يفاوض باسم الشعب الفلسطيني؛ لذلك، نتوقع أن المرحلة المقبلة ستشهد تصعيداً في العمليات، وعودة لعمليات الأسر والقتل في صفوف جنود الاحتلال.

ولا يستبعد أيضاً أن يشهد الشارع العربي والإسلامي حالة صحوة جديدة، يقودها العلماء والرموز، إذ لم يترك أبو عبيدة مجالاً للغموض: «تحركوا قبل فوات الأوان».

أما غزة، فتعيش واقعاً بائساً، قاسياً، كارثياً بكل معنى الكلمة؛ شعب يتعرض لحصار وتجويع وقتل وتدمير غير مسبوق في تاريخ البشرية، ومع ذلك، لا تزال هذه الأرض تقاوم، ولا تزال كتائبها ترسم ملامح المرحلة القادمة.

حرب التجويع في غزة!

د. جاسم الشمري
كاتب وأكاديمي

سمعنا كثيراً بالمجاعة في عصرنا الحاضر، وخصوصاً في القارة الأفريقية، التي تقتات أوروبا على خيراتها وتركت غالبية أهلها في ظلمات الجهل والفقر والجوع!

والجوع لم يعد مسألة إنسانية بحتة، بل أُدخل ضمن السياسات الداخلية والخارجية، وهكذا صرنا أمام سياسات منع الطعام والشراب عن شعب ما لتحقيق أهداف سياسية، وربما يكون الجوع نتيجة لظروف إنسانية قاهرة، أو لسياسات همجية تسعى لإبقاء الشعوب أسرى لرغيف الخبز.

واستخدمت سياسة التجويع في الحروب من الأنظمة المتعطشة للدماء، ومن هنا يقال: «أجاع الأسرى: منعهم الطَّعامَ والشَّرابَ، سبَّب لهم الجوعَ»، وكذلك يقال: «حاصر المدينة حتَّى يُجيع أهلها».

ولقد وقعت في التاريخ الإنساني القديم والحديث العديد من المجاعات، وربما من أبرزها: مجاعة الشام في العام ١٩١٥م، والمجاعة السوفييتية في العام ١٩٣٢م، والمجاعة الصينية الكبرى في العام ١٩٣٢م، والمغرب في العام ١٩٤٤م، وفيتنام في العام ١٩٤٥م، والعراق بعد العام ١٩٩٠م، والسودان في العام ١٩٩٨م، واليمن في العام ٢٠١٦م، وغزة في العام ٢٠٢٥م!

وتأكيداً لسياساتها السوداء، تستمر السلطات «الإسرائيلية» بمنع وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (الأونروا) من إدخال الطعام إلى غزة لأكثر من ٤ أشهر، وهذا تجويعٌ مُتعمد وذو دوافع سياسية.

وحصار غزة وصل لمرحلة مخيفة، وهنالك نسبة ليست قليلة من سكانها وصلوا إلى المرحلة الخامسة من المجاعة، وهي التي لا يمكن علاجها حتى لو توفر الطعام في المستقبل!

وكشفت د. هديل القزّاز، المتحدثة باسم منظمة «أوكسفام»، وهو اتحاد دولي للمنظمات الخيرية التي تركز على تخفيف حدة الفقر في العالم، في ٢١ يوليو ٢٠٢٥م، عن دخول غزة رسمياً في المرحلة الخامسة من تصنيف الأمن الغذائي؛ وهي المرحلة القصوى التي تعني إعلان المجاعة؛ ما يستدعي عادة إعلان حالة طوارئ دولية وتجنداً عالمياً للإغاثة.

وقالت «صحة غزة»، في ١٩ يوليو ٢٠٢٥م: إن المجاعة في القطاع وصلت إلى مستويات كارثية، وأكثر من مليوني إنسان يواجهون الجوع، والعالم صم آذانه عن صرخات الأطفال المجوّعين، فقد استشهد عشرات الأطفال بسبب الجوع وسوء التغذية!

إن من أشد المعارك هي معركة الأمعاء الخاوية؛ لأن الإنسان لا يمكنه أن يحيا حياة مستقرة، ولا نقول: مطمئنة، دون تناول على الأقل ما يسد رمقه من الطعام!

والمؤلم أن سلاح التجويع مفاتيح تفكيكه في أرض عربية، ويمكن عبر معبر رفح المصري أن يجهض هذا السلاح وترسل المعونات التي تنقذ الناس من الموت المحقق!

مأساة الموت الجماعي في غزة بسبب المجاعة صار واقعاً لا يمكن القفز عليه، فكيف يمكن القبول بهذا العار الذي سيلاحقنا إلى عشرات السنين ونحن نتابع موت أهل غزة هاشم أمام أعيننا ونحن لا نملك إلا الدعاء والحوقلة؟

وقد شاهدنا كيف أن الناس يتساقطون في شوارع القطاع من هول المجاعة القاتلة التي يعانون منها، بينما تلتزم الدول العربية، وخاصة المجاورة للقطاع، الصمت التام المطبق!

ومن هنا جاءت صرخة أبو عبيدة، الناطق العسكري باسم «كتائب القسام»، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، في ١٨ يوليو، الذي صارح الدول العربية بكلام لم يتناوله من قبل، وأكد بأن «رقاب قادة الأمة الإسلامية والعربية ونخبها وعلمائها مثقلة بدماء عشرات آلاف الأبرياء ممن خُذلوا بصمتهم، أما تستطيع أمة كبيرة عظيمة مجيدة أن تدخل طعاماً وماء ودواء للمجوّعين والمحاصرين وأن توقف شلال دمائهم الذي يُهدر من أجل إقامة إمبراطورية صهيونية على أرض العروبة والإسلام؟!».

وهذه المجاعة تأتي في وقت أكدت فيه «الأونروا» بأن لديها ما يكفي من الغذاء لسكان غزة لأكثر من ٣ أشهر، وأن هذه المواد مخزنة في المستودعات، بما في ذلك هذا المستودع في العريش بمصر، وهي جاهزة للدخول، وأن الإمدادات متوفرة، والأنظمة جاهزة.

وطالبت «الأونروا» بفتح المعابر ورفع الحصار، والسماح لفرقها لأداء عملهم ومساعدة من هم بأمسّ الحاجة، ومن بينهم مليون طفل.

وقد أكدت «الأونروا» أن العائلات لا يمكنها العثور على الطحين، والناس يعيشون بدون وجبات لأيام، وأن الأسعار ارتفعت بأكثر من ٥٠٠%!

فأي استخفاف بالإنسان والقوانين الإنسانية هذا الذي نراه في غزة؟!

إن جريمة العصر التي ترتكبها «إسرائيل» سيسجلها التاريخ كواحدة من أبشع الجرائم ضد الإنسان والأحياء في غزة، وفي ذات الموقف سيسجل التاريخ أن الغالبية العظمى من دول العالم وخصوصاً العربية والإسلامية منها قد خذلت غزة، وبقيت تتفرج على الموت البطيء لأهلها عبر القنوات التي تنقل المأساة أولاً بأول! ■

الاتحاد الأوروبي يراقب وصول المساعدات لغزة !
غزة
مساعدات

أطفال غزة يموتون جوعاً.

مجزرة المساعدات وقتل المجوَّعين.. حين يُذبح الإنسان على أكياس الطحين!

بشير عبداللطيف
داعية إسلامي

في مشهد مأساوي تهتز له الجبال وتقشعر له الأبدان، سقط العشرات من الجوعى قتلى على يد من يفترض بهم أن يحفظوا أمنهم ويحترموا إنسانيتهم، لم يكونوا يحملون سلاحاً، ولم يصرخوا بشعارات، بل اصطفوا في طابور طويل ينتظرون شاحنة مساعدات، تحمل ما يقيهم الجوع الذي فتّت أمعاءهم، وهدّ أجساد أطفالهم، لم يكن المشهد ساحة معركة، بل ساحة نجدة، فجعلها الظالمون ساحة مجزرة.

هذه ليست أولى المجازر التي ترتكبها آلة الاحتلال، لكنها واحدة من أكثرها دموية في وجه الإنسانية، لأنها جاءت في لحظة ضعف بشري شديد؛ لحظة الجوع.

الجوع، حين يُستخدم كسلاح، يصير أكثر فتكاً من أي صاروخ، هو ليس مجرد ألم في المعدة، وإنما إذلال للنفس، وانكسار للكرامة، وتمهيد للموت البطيء، وقد أدركت قوى الاحتلال هذا السلاح، فحاصروا المدنيين، وقطعوا عنهم الماء والغذاء والدواء، حتى صار الوصول إلى ربطة خبز مغامرة قد تنتهي بالموت.

وها هو الموت يأتي فعلاً، لا من المرض، ولا من القصف، بل من الرصاص المباشر على طوابير المساعدات، أي بشاعة هذه؟! وأي قسوة تلك التي تجعل القاتل يضغط الزناد تجاه من يمدّ يده ليأكل؟!

قتل الجائع جريمة مضاعفة؛ مرة بحرمانه من الطعام، ومرة بإطلاق النار عليه وهو يطلب النجاة، وقد قال الله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (الأنعام: ١٥١)، فأين الحق في قتل أطفال وشيوخ يقفون أمام شاحنة غذاء؟! وأين الرحمة في وجوه أولئك القتلة الذين لم يراعوا ضعف الناس وجوعهم؟!

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لا يَرحم لا يُرحم» (رواه البخاري، ومسلم)، فأي رحمة بقيت في قلوب هؤلاء؟! بل أين الرحمة في قلوب المتفرجين الصامتين، الذين لم تحرّكهم المجازر، ولم تزعجهم مشاهد الجوعى القتلى؟!

وقتل النفس المحرمة من أعظم الكبائر في الإسلام، ويزداد الأمر شناعة حين تكون هذه النفس ضعيفة، مستغيثة، لا تملك من أمرها شيئاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» (رواه الترمذي).

فكيف حين يُقتل عشرات، بل مئات، وأمام الكاميرات، ثم تُطمس الحقيقة، وتُزيف الروايات؟!

والأشد من ذلك أن الجريمة لم تقع على ساحة قتال، ولا في صفوف المواجهة، بل على رصيف المساعدات، ومع ذلك، لم يتورع القتلة عن الضغط على الزناد، قال صلى الله عليه وسلم: «من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيسٌ من رحمة الله» (رواه ابن ماجة)، فكيف بمن قتل بيده، وحرّض بلسانه، وصمت حين وجب الإنكار؟!

إن قتل المدنيين العُزّل، خصوصاً أثناء تلقي المساعدات، لا يُدان فقط شرعياً، بل هو مجرَّمٌ في جميع القوانين الدولية والشرائع السماوية، فكل وثائق حقوق الإنسان تعتبر حرمان المدنيين من الغذاء، ومنع المساعدات، واستخدام الجوع سلاحاً، جريمة حرب، بل جريمة ضد الإنسانية.

ورغم ذلك، لا نرى محاكمات، ولا إدانات جدية، بل يُغض الطرف عن القتلة، ويُلقى اللوم على الضحايا أحياناً، وهنا يُسأل الضمير العالمي: هل أصبح الدم الفلسطيني أرخص من أن يُحسب له حساب؟ وهل صار الجوعى لا يستحقون إلا الرصاص بدل الرغيف؟!

حين تقع مثل هذه المجازر، وتخرج الصور الصادمة، ثم لا نرى من العالم إلا الشجب الخافت أو البيانات الباردة، فإن هذا ليس حياداً، وإنما تواطؤ، الصمت في وجه الظلم خيانة، واللامبالاة أمام المذابح نفاق، بل إن القرآن يربط بين ترك نصرة المظلوم ووقوع العذاب العام، قال تعالى: (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً) (الأنفال: ٢٥).

إن من يسكت عن هذه المجازر لا يملك أن يزعم لنفسه إنسانية، ولا أن يدّعي تمسكاً بالقيم، فالحق لا يُعرف فقط في المؤتمرات، بل يُثبت في المواقف، وإن مجزرة المساعدات امتحانٌ حقيقي لمزاعم العدالة في هذا العالم.

ومنذ أن وقعت المجزرة، تساءل الكثيرون: أين ردّ الأمة؟! أين العالِم والخطيب؟! أين الإعلامي والكاتب؟! لماذا لا نرى انتفاضة على مستوى الحدث؟! لقد سُفك الدم، وصرخ الجائع، واحترقت قلوب الأمهات، ونحن لا نزال نبحث عن ردٍّ متوازن!

إن أضعف الإيمان أن نكتب، وأن نفضح، وأن نُظهر الحقيقة، وإن من تمام الإيمان أن نُحرك القلوب، وأن نُلهب المنابر، وأن نُربّي الأجيال على كراهية الظلم، وبُغض الجبناء، ومناصرة الحق.

يا شعوب الأمة، لا تنتظروا الحكومات، بل كُونوا أنتم خط الدفاع الأول عن إخوانكم، أوصلوا صوت الجائع، وانقلوا معاناته، واصنعوا من دماء الشهداء حياة جديدة للحق.

لا تستهينوا بالكلمة، ولا بالصورة، ولا بالدعاء، ولا بالمقاطعة، ولا بالدعم الشعبي، فالظالم لا يخشى الجيوش فقط، بل يخشى صحوة الشعوب أكثر.

مجزرة المساعدات جرح جديد في جسد أمتنا، لكنها ليست النهاية، فكما أن القاتل لم يرحم، فإن ربنا لا يظلم، وكما أن الشهيد سقط دون خبز، فإنه ارتقى إلى ربٍّ كريم لا ينسى أحداً.■

«المدينة الإنسانية» في رفح.. نكبة جديدة ومعسكر اعتقال!

تقرير – سيف الدين باكير:

في ٧ يوليو ٢٠٢٥م، أعلن وزير الدفاع الصهيوني يسرائيل كاتس عن خطة مثيرة للجدل تقضي بإنشاء «مدينة إنسانية» في رفح جنوب قطاع غزة، بين طريقي فيلادلفيا ومواراج، ووفقاً لما نشرته صحيفة «يسرائيل هيوم» العبرية، تهدف الخطة إلى إقامة مجمّع خيام ضخم لاستيعاب مئات الآلاف من السكان الفلسطينيين، بعيداً عمّا وصفته بسيطرة «حماس»، مع وضع آلية لتشجيع

«هآرتس»: المشروع «ترانسفير» جماعي يهدد بنكبة فلسطينية جديدة

أولمرت: معسكرات اعتقال وترحيل السكان إليها يرقى إلى تطهير عرقي

هجرتهم خارج القطاع.

الخطة، بحسب كاتس، ستبدأ بنقل نحو ٦٠٠ ألف فلسطيني إلى المخيم، تمهيداً لنقل بقية سكان القطاع لاحقاً، على أن يتم توزيع المساعدات من خلال هذا المجمع، الذي يتوقع أن يكون خاضعاً لإشراف «إسرائيلي» مباشر.

لكن مما بدا للبعض كخطة إنسانية سرعان ما انكشف عن وجهه الحقيقي، إذ وصفت صحيفة «هآرتس» العبرية المشروع بأنه «ترانسفير» جماعي يهدد بنكبة فلسطينية جديدة، بينما شبّه رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق إيهود أولمرت الخطة بمعسكرات الاعتقال، مؤكداً أن ترحيل السكان إليها يرقى إلى تطهير عرقي.

وقال أولمرت، في مقابلة مع صحيفة «الغارديان»: إن ما يسمى بـ«المدينة الإنسانية» هو في الحقيقة معسكر اعتقال، وإذا نُقل الفلسطينيون إليها قسراً، فإن ذلك يمثل شكلاً من أشكال التطهير العرقي، مضيفاً أن «إسرائيل» ترتكب بالفعل جرائم حرب، وهذه الخطة ستصعّد الأمور إلى مستوى أخطر.

خلافات داخلية

الجدل لم يقتصر على الأوساط الإعلامية والحقوقية، بل امتد إلى داخل غرف القرار في «تل أبيب»، صحيفة «يديعوت أحرونوت» كشفت أن قيادة جيش الاحتلال ترى أن تنفيذ الخطة يتطلب أكثر من عام من التحضيرات، بتكلفة تتراوح بين ١٠ و١٥ مليار دولار، وهو ما يناقض التقديرات السياسية التي تحدثت عن إنجازها خلال ٦ أشهر.

وقد وُصِف شعور بعض المسؤولين في مجلس الوزراء بأن الجيش يقدّم خطة غير واقعية لإفشال المشروع، الذي يواجه منذ الإعلان عنه انتقادات دولية وإقليمية واسعة، ويُخشى أن يتحول إلى أزمة إنسانية وسياسية.

رئيس الأركان الصهيوني اللواء إيال زامير، عبّر خلال اجتماعات مغلقة عن معارضته الشديدة للخطة، محذراً من أن تهيئة الأرض لإنشاء المدينة تُضعف قدرة الجيش على تنفيذ مهامه القتالية، وعلى رأسها استهداف «حماس» واستعادة الرهائن.

وفي السياق ذاته، صرّح قائد سلاح البحرية الأسبق اللواء إليعازر ماروم تشيني بأن الخطة لا تحظى بدعم المؤسسة العسكرية، مشبّهاً المدينة بقفص تُحاصر فيه «إسرائيل» المدنيين الفلسطينيين، مضيفاً: نحن نضعهم هناك للسيطرة عليهم، هذا ليس مشروعاً إنسانياً، بل أمنياً بغطاء إنساني مُضلّل، بحسب ما نقل موقع «واللا» العبري.

وقال: لا أفهم لماذا نُصرّ كل هذا الإصرار على هزيمة «حماس»، وعلى إخراجها رافعين الراية البيضاء؟ أين رأيتَ شيئاً كهذا يحدث؟!

رهانات سياسية

يبدو أن المشروع، رغم ضخامته، يعاني من هشاشة على مستوى الرؤية والتخطيط، فقد كشفت مصادر في حكومة الاحتلال أن الخطة تُراهن على الحصول على تمويل من دول عربية بعد الحرب، في إطار مشاريع إعادة إعمار غزة، لكن هذه المصادر نفسها تستبعد تحقق هذا السيناريو، بل ترى أن قلة قليلة في الحكومة تعتقد أن هذه المدينة ستُبنى أصلاً. ■

بين فترة زمنية وأخرى، يخرج علينا الكيان الصهيوني بإجراء تغيير جوهري في قطاع غزة، ضمن محاولاته الرامية لتقطيع أوصال القطاع جغرافياً، وفرض المزيد من الضغوط على عناصر المقاومة عسكرياً، واعتباره ورقة تفاوض جديدة على طاولة المفاوضات الجارية بين حركة «حماس» و«تل أبيب» سياسياً؛ أي وضع العراقيل أمام المفاوض الفلسطيني في الدوحة.

«ماغن عوز».. محور صهيوني جديد يقطع أوصال غزة

د. خالد سعيد
أكاديمي وباحث في الشؤون الصهيونية

في ١٦ يوليو ٢٠٢٥م، خرج علينا الجيش «الإسرائيلي» بإعلان غريب يؤكد من خلاله إقامته لمحور «ماغن عوز»؛ والهدف منه تقطيع أوصال غزة، عبر فصل مدينة خان يونس إلى جزئين؛ شرق وغرب، والممتد لمسافة ١٥ كيلومتراً، وعمل المزيد من المربعات الأمنية المفصولة عن بعضها؛ بهدف فرض المزيد من السيطرة على مجريات الأمور في القطاع.

وكأن الكيان الصهيوني يبعث برسالة إلى المفاوض في العاصمة القطرية، أنه لن يخرج من غزة وباق فيها؛ خاصة وأن هذا المحور يقسّم خان يونس، ثاني أكبر مدينة في قطاع غزة، ويمتد حتى محور «موراغ» جنوباً.

بداية، «ماغن عوز» أو «درع القوة» كلمة عبرية تستخدم للإشارة إلى قوة الله تعالى، وتعني قوة عظمى أو قوة كبيرة، و«ماغن» تعني حماية أو درعاً، وكلمة «عوز» تعني عظمة أو قوة؛ ما يعني أن الكلمة تحمل دلالات عسكرية ومعنوية؛ مع الإشارة إلى أن المغزى الحقيقي من وراء بناء هذا المحور، ولو على الورق أو الخرائط العسكرية فقط، حتى الآن، هو إجراء تغيير ديمغرافي على الأرض، خاصة وأن أكبر عائلات خان يونس تقطن في هذه المنطقة، والمحور سيعزلها ويفككها، ليحتل الجزء الشرقي منها ويضمه، فيما يبقى ما يزيد على مليون فلسطيني غرب المحور، يمكن ترحيلهم قسراً إلى رفح لمواجهة مصير مدينة الخيام.

مربعات أمنية

المتتبع لمجريات الحرب على غزة، منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، يعلم أن الكيان دشن عدة محاور عسكرية مماثلة من قبل، مثل «نتساريم» وهو وسط غزة، و«موراغ» شمال مدينة رفح، ناهيك عن محور «فيلادلفيا» جنوب رفح نفسها، والموازي للحدود المصرية، وهي كلها محاور عسكرية يعود الهدف الصهيوني من ورائها إلى تقطيع أوصال قطاع غزة وتحويله إلى مربعات أو كانتونات أمنية معزولة، رغم أن المقاومة قد أفسدت كل هذه المحاور الأمنية، غير مرة.

الهدف الصهيوني من ورائه تقطيع أوصال قطاع غزة وتحويله إلى مربعات أو كانتونات أمنية معزولة

والمحور الجديد في خان يونس يرمي إلى تهجير سكان المنطقة الشرقية من المدينة، وضمهم إلى الفلسطينيين في مدينة الخيام برفح، وضم هذا الجزء المحتل إلى الحدود الصهيونية، واعتبارها منطقة لوجستية للجيش «الإسرائيلي».

والغريب أن «تل أبيب» اعترفت بأن المحور يعد جزءاً أساسياً للضغط على «حماس»؛ أي إشغال الحركة المقاومة بالحديث عن تفاصيل كثيرة ومحاولة إلهائها عن الخطوط الرئيسة أثناء مجريات المفاوضات، خاصة أن الحديث عن وجوب الانسحاب الصهيوني من محور «موراغ» قد شغل اهتمام «حماس»، لكنها في الوقت نفسه أجبرت الجيش «الإسرائيلي» على الانسحاب الجزئي منه، باعتباره أحد البنود الرئيسة خلال جولة المفاوضات الحالية في قطر، وقد كان.

وفور الإعلان عن تدشين المحور الجديد، أكد نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي باللغة العبرية، أن «ماغن عوز» الهدف منه وضع حجر عثرة جديد في مفاوضات الدوحة،

والإعلان صراحة عن رفض «تل أبيب» لأي مباحثات تتناول الخروج من غزة، وذلك بناء على طلب من اليمين المتطرف في الكيان الصهيوني! ما شجَّع العديد من هؤلاء النشطاء الصهاينة إلى طرح اقتراحات أخرى من جانبهم، ممثلة في تدشين محاور جديدة بطول وعرض غزة، تقطع أوصال القطاع، وتقسم العائلات الفلسطينية وتبعدها عن بعضها، وهي أهداف اجتماعية صهيونية قبل أن تكون عسكرية أيضاً.

الاعتراف الصهيوني بأن الهدف من تدشين محور «ماغن عوز» والخاص بتقسيم قطاع غزة إلى مسارات أخرى وتطويق عناصر المقاومة وتدميرها، يصب في صالح المقاومة الفلسطينية التي كبدَّت الكيان «الإسرائيلي» خسائر بشرية فادحة خلال الأسابيع القليلة الماضية، جعلته يوافق على الانسحاب الجزئي من «موراغ» جبراً، عبر ضربات متوالية للمقاومة في خان يونس ومن قبلها بيت حانون.

وهو ما يثبت أن إنشاء المزيد من المحاور يرمي إلى اعتبارها أوراق تفاوض في يد الاحتلال، مع ممارسة المزيد من الضغوط على «حماس»، لكن الأخيرة أدركت ذلك عبر استمرارها في حرب العصابات وحالة الاستنزاف المتواصلة التي تقوم بها كل عناصر المقاومة في الفترة الجارية، مع التأكيد على أن «تل أبيب» ترغب في خلط الأوراق وتشتيت ذهن المفاوض الفلسطيني سياسياً، قبل العنصر المقاوم ميدانياً، مع التشديد على أن كثرة المحاور يعني الحديث عن خرائط عسكرية جديدة للجيش يمكن البقاء أو الانسحاب منها، جزئياً أو كلياً.

.. ويرمي إلى تهجير سكان المنطقة الشرقية من خان يونس وضمهم إلى الفلسطينيين في مدينة الخيام برفح

المقاومة تحقق الإنجازات على الأرض وتوقع بالمزيد من القتلى بين صفوف الجيش «الإسرائيلي»

اعتراف صهيوني

الثابت أنه حتى الآن تعترف وسائل الإعلام العبرية بأن المقاومة تحقق الإنجازات على الأرض، وتُوقع بالمزيد من القتلى بين صفوف الجيش «الإسرائيلي»، إذ رأت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، في ٢٠ يوليو، أن الجيش يزيد من عمليات هدم المباني في خان يونس، بطول ٣٠٠ متر على جانبي محور «ماغن عوز» الجديد، ولكن عناصر المقاومة تستغل المباني المهدمة في الانتشار والاختفاء بينها عن ضربات قوات الجيش «الإسرائيلي»؛ ما يتطلب نشر المزيد من القوات الصهيونية، وهو ما ترفضه قيادات الجيش في الوقت الحالي، إذ تدور خلافات بين الساسة والعسكر في «تل أبيب» حول جدوى استمرار الحرب، ومدى السيطرة على أماكن بعينها داخل قطاع غزة، فضلاً عن مدى نشر المزيد من قوات الاحتياط، التي يرتفع عدد رافضيها الانضمام للخدمة العسكرية، من الأساس، في قطاع غزة.

رغم الأجواء الإيجابية التي تسود وسائل الإعلام العبرية بشأن قرب التوصل لاتفاق لوقف إطلاق النار في غزة، فإن الحديث عن تدشين محور جديد في القطاع، يعكس فكراً استيطانياً متطرفاً تتبناه حكومة نتنياهو اليمينية، التي تبتدع بين الفينة والأخرى خرائط جديدة خوفاً من تفكك الائتلاف الحاكم، خاصة وأن تلك الحكومة باتت عاجزة عن تحقيق أي إنجاز عسكري على الأرض في غزة أمام الرأي العام «الإسرائيلي» الداخلي.

والسؤال: هل يصبح المحور عبئاً على كاهل الجيش «الإسرائيلي»؟! من المؤكد أن الحديث عن «ماغن عوز» داخل الجيش «الإسرائيلي» نفسه سيصبح عبئاً كبيراً على كاهل القيادات العسكرية في الفترة القريبة المقبلة، خاصة أن المحور لم يتم تناوله بكثرة في وسائل الإعلام العبرية، وتحديداً برامج «توك شو» على القنوات العبرية، فالرأي العام «الإسرائيلي» سوف يطرح تساؤلات بشأن مدى أهمية المحور وما حققه الجيش من نتائج عسكرية على خلفية تدشينه، وأهميته للكيان الصهيوني، مستقبلاً؛ ليتحول المحور، فعلياً، من ورقة تفاوض مهمة على طاولة المفاوضات الجارية في الدوحة، إلى عبء سياسي وعسكري على عاتق حكومة نتنياهو، في المستقبل.■

الأحكام الفقهية المتعلقة بالاستفادة من المساعدات الصهيونية الأمريكية

د. عبدالله أبو عليان
عميد كلية الدعوة الإسلامية بغزة

وردتني أسئلة كثيرة حول حكم الذهاب إلى نقاط توزيع المساعدات الصهيونية الأمريكية منذ بدء توزيعها في السابع والعشرين من شهر مايو، إلا أني توقفت عن إصدار موقف شرعي بالخصوص؛ لمجموعة من الأسباب:

أولها: أن الناس في عوز شديد، ولا يوجد أمامهم بدائل أخرى للحصول على الطعام، فلم يكن لديَّ جرأة على تحريمها رغم مفاسدها الكبيرة، فقد أجاز الشرع الميتة للضرورة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٥)، وسيكون في تحريم الذهاب للمساعدات فتنة للناس في دينها، إذ ليس كلهم يتفهم المصلحة الكبرى من مقاطعة هذه المساعدات المغموسة بالدم، ومعظمهم ينظر لها من فراغات منخل الطحين الذي لم يستعمله منذ عدة أيام.

ثانيها: لأن الحكم في هذه المسألة ينبغي أن يوجه لأمة المليار قبل أن يوجه لمن أنهكهم الحصار، فالدول الإسلامية التي تشاهد المأساة، وتصمت عليها، أو تشارك فيها، أو تتخاذل عن تغيير واقعها، هي الأحق بأن نبين لها حكم الصمت والخذلان، فقبل أن تأمر الباكي بالكف عن البكاء ينبغي أن ترفع عنه اليد الضاربة له.

ثالثها: أن المفاسد المتوقعة كانت قبل البدء العملي في توزيع المساعدات ظنية، ويمكن أن تنخفض أو تختفي مع الوقت، إلا الأيام أثبتت أن المفاسد تتزايد، بل إن ممارسة القتل والخنق والأسر والإذلال والبلطجة والابتزاز في نقاط التوزيع جاءت عملياً أبشع مما كنا نتوقع.

وأمام استمرار الحرب والحصار، ونزيف القتل اليومي بمتوسط عشرين قتيلاً يومياً في نقاط المساعدات الأمريكية، وتعاظم مفاسد الذهاب إليها، وجدت أن الواجب الشرعي إقامة الحجة، وبيان الحكم الفقهي في المسألة، فمن شاء أخذ بها، ومن أعرض فقد اختار مصيره بنفسه، فقد قال الله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢)، وفي ضوء ذلك أضع هذه الإضاءات الشرعية في الموضوع على النحو التالي:

١- آلية توزيع المساعدات الحالية في مصائد الموت الصهيونية الأمريكية التي فيها إذلالٌ للناس، وامتهانٌ لآدميتهم، وسببٌ لقتلهم وإلحاق الأذى بهم، تتعارض مع الحقوق الشرعية والإنسانية، وقد رفضتها الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية الإنسانية والقانونية، وتغيب فيها معايير العدالة، حيث يعجز كبار السن والعجزة والضعفاء من النساء والأطفال والجرحى عن الاستفادة منها.

ويجب على كل مسلم؛ حاكماً كان أو محكوماً، له قدرة على إلغائها واستبدال آلية

الدول الإسلامية التي تشاهد المأساة هي الأحق بأن نبين لها حكم الصمت والخذلان!

آلية توزيع المساعدات الصهيونية الأمريكية تتعارض مع الحقوق الشرعية والإنسانية

هناك ممارسات تتردد بين الإباحة والكراهة والتحريم وفيها خفاء وقابلية لتعدد الآراء

بها تحقق العدالة، أن يبذل جهده في ذلك، وإن الضغط الدولي الحقيقي، والمقاطعة الجماعية لهذه الآلية تسهم في إسقاطها.

٢- الذاهبون إلى المساعدات خلقٌ كثير، وأحوالهم متفاوتة، ولا يصح إعطاء حكم شرعي واحد لكل الذاهبين إليها، فقد يجوز في حق بعضهم ويحرم في حق آخرين، إذ التحريم في الشريعة قد يكون ذاتياً تتلازم فيه المفسدة مع الفعل، كما في تحريم الفواحش والسرقة والربا، وهو ما يعرف بالمحرم لذاته، فهو محرم في كل الأوقات في حق كل الأشخاص، وقد يكون التحريم لمفسدة غير متلازمة مع الفعل، ويمكن وجودها معه ويمكن تخليصه منها، وهو ما يعرف بالمحرم لغيره، كما في تحريم البيع وقت الجمعة، فالتحريم ليس لذات البيع وإنما للوقت الذي وقع فيه، أو الشخص الذي وقع منه.

لذلك، فإن الفعل الجائز في أصله يصبح محرماً إذا نشأ عنه مفاسد غالبة، وذهاب الناس إلى المساعدات من هذا النوع، كما أن الفعل المحرم قد يجوز استثناء ورخصة في بعض الأحوال وفي حق بعض الأشخاص.

٣- هناك ممارسات تتعلق بالذهاب إلى المساعدات تتردد بين الإباحة والكراهة والتحريم، وفيها خفاء وقابلية لتعدد الآراء، وهناك ممارسات نجزم بتحريمها دون مواربة أو تردد، ومن ذلك:

- يحرم التعاون مع الاحتلال الصهيوني مقابل الحصول على تسهيلات تتعلق بالاستفادة من هذه المساعدات، فهذا من الخيانة التي نهى الله تعالى عنها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

- يحرم ذهاب الأفراد الذين يملكون ما يسد حاجتهم اليومية الأساسية في المأكل والمشرب والملبس والدواء والإيواء؛ لأن المخاطرة في الذهاب عالية، وإن جازت استثناء في حق المضطر الذي لا يجد ما يسد حاجته، فهي لا تجوز في حق غير المحتاج.

- لا يجوز أخذ كمية من المساعدات أكثر من القدر المخصص للعائلة الواحدة، ولا يجوز التسبب في إتلاف الطرود الإغاثية، بفتحها وانتقاء الأصناف المميزة منها التي يخف حملها ويرتفع سعرها كالسكر، والتخلص من الأصناف الأخرى بالإهدار والإلقاء تحت الأقدام.

- يحرم على الأشخاص الذين يعملون في المقاومة، أو يغلب على ظنهم استهداف الاحتلال لهم قتلاً أو أسراً الذهاب إلى مصائد الموت، ويجب سد احتياج هذه الفئة من خلال الجهات التي يتبعون لها، والمبادرات الإغاثية المجتمعية، قال الجويني في كتاب «الغياثي»: «وإن ضاع فقيرٌ بين ظهراني موسرين، حرجوا من عند آخرهم».

- لا يجوز غصب المواد التموينية من الأشخاص الذين حصلوا عليها من نقاط التوزيع أثناء عودتهم، فهذا من الظلم والعدوان والغصب.

- يحرم تعريض النفس للمخاطرة بالذهاب في الأماكن والأوقات التي يتقصد فيها الاحتلال استهداف الذاهبين، أو الدخول من المسارات التي يغلب على الظن قتل من يدخل فيها، أو التبكير في الذهاب قبل الوقت المحدد للدخول، فهذا من تعريض النفس للهلاك، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥).

- إذا كان الذاهب للمساعدات محتاجاً فعلاً، والتزم بالضوابط المتعلقة بوقت ذهابه ومسار تحركه وقدر ما يأخذه، فلا أنصحه بالذهاب، فإن الحكم يدور بين الكراهة والتحريم، ورغم أن الكراهة تزول مع الحاجة، ويرخص في الحرام بقدر الحاجة عند خشية الهلاك وعدم توفر البديل، إلا أن احتمال الجوع مفسدته أقل من مفسدة القتل والإصابة، والقرآن الكريم يرجح الغالب على النادر في المصالح والمفاسد، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾(البقرة: ٢١٩)، فأن تبقى بلا طعام عدة أيام أهون من أن يبقى أبناؤك بلا أب، وتبقى زوجتك بلا زوج، وتبقى أمك بلا ابن.

- يجوز الانتفاع بالمواد التموينية التي تحصلوا عليها من نقاط التوزيع بالضوابط السابقة، سواء كان الانتفاع بالتبرع والإهداء أو الشراء لها؛ لأنها من التبرعات التي تصبح مملوكة بالقبض، ولمالكها التصرف بها على الوجه المشروع، ولا بأس بالتجارة فيها، على أن يلتزم البائع الرحمة في البيع، والصدق في المعاملة، والرفق بالناس، ويربح قدراً معقولاً يجعل السلع في متناول الناس، وييسر عليهم في ظل المجاعة والحاجة الشديدة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللَّه عبداً سَمْحاً إذا باعَ، سَمْحاً إذا اشْتَرى، سَمْحاً إذا قَضَى، سَمْحاً إذا اقْتَضَى» (رواه البخاري، ح ٢٠٧٦).■

الأكاديمي السوري عرابي عبدالحي يكشف لـ«المجتمع» تفاصيل مخطط مليشيات السويداء

استيقظ الشارع السوري والعربي، في ١٣ يوليو ٢٠٢٥م، على أحداث دموية في مدينة السويداء، تصاعدت بتدخل «إسرائيلي»، وقصف لمقار حكومية ومدنية من قبل الطيران الصهيوني، بدعوى حماية الدروز وتأمين أنصار الزعيم الدرزي حكمت الهجري.

لمعرفة المزيد حول هذه الأحداث وتفاصيلها، تواصلت «المجتمع» مع الأكاديمي والباحث السوري عرابي عبدالحي، الذي كشف بداية الفوضى ومن يقف وراءها وما الهدف منها.

حوار- محمد العبدالله:

● **بداية، صف لنا المشهد عن قرب لما حدث في السويداء؟**

- المشهد بدأ مع دخول قافلة تجارية للعشائر كانت في طريقها للسويداء، حيث تم إيقافها وقتل أصحابها بعد أسرهم على يد مليشيات تابعة للمدعو حكمت الهجري.

وعقب قتل رجال القافلة، حدث ما يشبه الفزعة من أبناء العشائر؛ رداً على قتل أبنائهم على يد المجلس العسكري، الذي تأسس عقب سقوط نظام بشار الأسد بيوم أو يومين في السويداء.

الاشتباكات أدت إلى فوضى في السويداء ومحيطها؛ ما دفع شيوخ العقل إلى الاستنجاد بالدولة لإيقاف الفوضى، وعقب وصول الأرتال العسكرية من قبل الدولة تم إعداد كمائن وعمليات لها من قبل المليشيات الخارجة على القانون وصلت إلى ١٣ عملية متزامنة ومنسقة في وقت واحد، حيث تسببت في أسر بعض العناصر؛ لإحراج الدولة وإسقاط هيبتها.

● **مع تصاعد الأحداث، ظهرت شخصية حكمت الهجري، من هو؟ وماذا يريد؟**

- حكمت الهجري شخصية تابعة للطائفة الدرزية، التي لها هيئة ثلاثية في سورية لشيوخ العقل أو مرجعية روحية، وهي بدورها مقسمة بين ٣ عائلات، هي: الحنّاوي، والجربوع، والهجري.

وقبل حكمت الهجري كان هناك أحمد الهجري ممثل العائلة، وكان رئيساً للطائفة الدرزية، وكان متوازناً

في مواقفه مع النظام السابق، وهدده قبل سنوات بالانضمام إلى الثورة عقب تصفية النظام لأشخاص من المعارضة كانوا في السويداء؛ ما دفع لترتيب حادث مروري مدبر له، ولكنه توفي بشكل غامض في المستشفى.

وعقب وفاته تم استدعاء أخيه حكمت الهجري، الذي كان موجوداً في فنزويلا يدير تجارة له، ومن المعروف أن هذه العائلة لها سلطة روحية وتجارات عالمية مشبوهة، وعقب عودته قام الهجري بالتقرب من النظام السوري البائد، لكنه انقلب على النظام لاحقاً بسبب تهميشه، وعند قيام الثورة رفض أي حضور مع الحكومة الجديدة، كما تم الكشف عن اتصاله بأحد القيادات الدرزية المتواجدة في «إسرائيل».

● **ما حجم وطبيعة طائفة الدروز في السويداء، ومدى تأثيرها؟**

- الطائفة الدرزية في السويداء يصل عددها ما بين ٣٠٠ - ٥٠٠ ألف شخص، وهي تتواجد بكثرة في المحافظة إلى جانب عشائر عربية أخرى، وقد تم تهجير الطائفة الدرزية من لبنان ما بين أربعينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر على يد العثمانيين.

كما يوجد قرى أخرى بها عدد من الدروز مثل قرية جرمانا، وقرى أخرى في جبل السماق بإدلب، وهذه المناطق ظهر فيها الوجود الدرزي بشكل حديث نسبياً عن تواجدهم في السويداء.

وحول تأثيرهم، فالدروز متواجدون في مناطق شحيحة الموارد؛ لذلك هم دائماً على اتصال بالعاصمة السورية لتعدد مواردها أو درعا، لكن اتصالهم الأخير بـ«إسرائيل» ينذر بأخطار كبيرة على المنطقة وعلى تمدد الكيان المحتل.

● هناك شخصيات وطنية من الدروز مثل ليث البلعوس، ما طبيعة دوره وتأثيره؟

- ظهر ليث البلعوس عقب مقتل شقيقه الذي أسس فصيلاً عسكرياً يسمى «رجال الكرامة»، وكان شقيقه ضد سلطة حكمت الهجري، وكان مناصراً للثورة السورية، وعقب مقتله تولى شقيقه ليث القيادة، وهو مناصر للدولة السورية، لكنه لا يملك سلطة روحية بين الدروز وطائفته ليست من شيوخ العقل.

عدد أفراد الطائفة الدرزية في السويداء يتراوح بين ٣٠٠ - ٥٠٠ ألف

الهجري على اتصال بأحد القيادات الدرزية المتواجدة في «إسرائيل»

مليشيات درزية قامت بعمليات تهجير وتطهير عرقي ضد البدو

● كيف ترى محاولة الاستقواء بالكيان الصهيوني لدعم الدروز؟

- عندما طالبت العشائرُ الدولةَ السورية بضرورة التدخل لأجل فض الاشتباكات ووقف عمل العصابات والمليشيات في السويداء، ظهر الهجري من خلال بيان له ورفض طلب الحكومة، ثم بعد سيطرة الدولة على السويداء طالب «إسرائيل» بالتدخل لحماية الدروز.

وفي بداية الأحداث بالسويداء أرسلت الدولة عدداً من الدبابات ليس كبيراً يصل إلى ١٠ دبابات معهم عدد قليل من أبناء السويداء، لكن تم نشر كمائن لهم؛ ما تسبب في مقتل أكثر من ٢٠٠ شخص وتصفية عدد من الجرحى على يد مليشيات الهجري.

● أظهرت صور متداولة أن ما حدث في السويداء مذبحة ضد الدروز، فما حقيقة ذلك؟

- في الحقيقة حدث عدد من الانتهاكات، ولكنه محدود، وتتجلى ذروة هذه الانتهاكات في حلق بعض الشوارب، لكن انتهاكات ضد المدنيين كعمليات قتل لم تحدث، والحقيقة أن بعض البدو لهم ثارات مع الدروز تمتد إلى قرابة ١٠٠ عام للوراء، حيث تم تصفية عدد منهم بعيداً عن وزارة الدفاع.

أيضاً قامت مليشيات الهجري بعد إبرام الاتفاق الأخير في السويداء بتطهير عرقي للبدو وتهجيرهم من منازلهم.

● ما تفسيرك لغارة الكيان المحتل على ساحة الأمويين بدمشق؟

- الأمر كان متوقعاً؛ لذلك عند القصف كان مبنى وزارة الدفاع خالياً، وما وقع من جرحى كان في محيط المبنى، وتم نقلهم إلى المستشفى.

● كيف تقرأ خطاب الرئيس السوري أحمد الشرع؟

- خطاب الرئيس الشرع الذي أذيع فجراً يعتبر خطاباً متزناً، قد يقرأه البعض على أنه انهزام، ولكن هناك حسابات مقدرة للدولة التي منها أنه لو استمرت المعركة في السويداء ربما يؤدي إلى تدخل بري من قبل «إسرائيل»؛ ما يعني إعلان الحرب ودخول البلاد في فوضى لا يحمد عقباها، وانتشار السلاح على نطاق أكبر، في حالة اغتيال عدد من قيادات الدولة أثناء الحرب، كل هذه الأمور تعيها الدولة الجديدة، وربما تنتهي مسألة السويداء نهائيا في الشهور المقبلة ■

مسلمون خلف الذاكرة (1)

قراءة تحليلية في حاضر ومستقبل الأقليات المسلمة حول العالم

شعبان عبدالرحمن
مدير تحرير «المجتمع» الكويتية، و«الشعب» المصرية – سابقا

يعيش ما يقرب من ثلث المسلمين كأقليات عددية حول العالم، ويتعرض عدد كبير منهم لصور مختلفة من التهميش السياسي والاجتماعي، والاضطهاد والتعذيب، في حين يحظى آخرون بفرص أكبر للتعايش السلمي والاندماج في مجتمعاتهم على اختلاف دياناتها.

وفي الحالتين، يتم طرح إشكاليات وأسئلة تتعلق بكيفية فهم الأوضاع والسياسات التي أدت بواقع المسلمين إلى الاضطهاد أو التعايش، وكيف تعامل المسلمون مع مجتمعات مختلفة عنهم ثقافياً ودينياً؟ وما الأدوار السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهم؟ وما أهم التحديات التي يفرضها عليهم واقعهم؟ وكيف يتعاملون معها من خلال الآليات المؤسسية والسياسية[1]؟

من بين ٢٣٢ بلداً وإقليماً في العالم (١٩٦ دولة و٣٦ إقليماً)، هناك ٥٠ دولة ذات أغلبية مسلمة، ويعيش أكثر من ٣٠٠ مليون مسلم -أقل من سدس مجموع المسلمين- في بلدان لا يمثل فيها الإسلام دين الأغلبية، فالصين، على سبيل المثال، لديها مسلمون أكثر من سورية، وألمانيا أكثر من لبنان!

وتغطي الأقليات المسلمة رقعة جغرافية كبيرة حيث تنتشر في معظم دول العالم، وهي تعاني عاملاً مشتركاً واحداً، وهو تعرضهم لتحديات أو تهديدات، مبعثها الأساسي المجتمعات غير المسلمة التي تعيش فيها، لكن حدة هذه المشكلات وحجم التهديدات يختلفان بالطبع من إقليم إلى آخر ومن دولة لأخرى[2].

ويمثل التلاعب في تعداد المسلمين، وخاصة الأقليات، أحد أكبر التحديات في الوصول إلى أرقام واقعية لتعدادهم حول العالم، ورغم أن بعض المصادر تذهب إلى أن عدد المسلمين في العالم يصل إلى قرابة ملياري نسمة؛ بنسبة تقارب ٢٤٪ من عدد سكان الأرض؛ ما يعني أنهم يمثلون ثاني أكثر الأديان انتشاراً على الكوكب بعد الديانة المسيحية التي تصل نسبة معتنقيها إلى ٣١٪ من مجموع سكان الأرض، وتأتي الهندوسية في المرتبة الثالثة بين أكثر الأديان انتشاراً وتبلغ نسبة معتنقيها ١٥%.

فإن عدم توفر المراجع والمصادر الكافية وذات المصداقية عن تعدادهم فتح ثغرة خطيرة للتلاعب في إجمالي عددهم وأماكن تواجدهم، كما أن هناك جهات دولية تحاول الخسف بتعداد المسلمين، خاصة الأقليات، وتتدخل محركات البحث في هذه اللعبة، والهدف من ذلك واضح وهو التهوين من تعداد المسلمين وإظهاره منخفضاً؛ وبالتالي يكون الحديث عن حقوقهم المتعددة ومساواتهم بالآخرين حديثاً خجولاً.

وقد وصل الأمر إلى حد التزوير في التعداد الخاص بالمسلمين في دول معروفة بأنها دول إسلامية، وتعداد المسلمين فيها أكبر من غيرهم، لدرجة هبطت بنسبة المسلمين فيها من أغلبية كاسحة إلى أقلية متواضعة، ومثال ذلك تعداد المسلمين في

دولة مثل نيجيريا، فبالرجوع إلى تطبيق «ChatGPT» حول هذا الموضوع، ذكر ما يلي:

«بعد مراجعة الإحصاءات المتاحة حول نسبة المسلمين في بعض الدول ذات الأغلبية غير المسلمة، تبيّن أن هناك تبايناً في الأرقام المذكورة، فعلى سبيل المثال؛ تشير بعض المصادر إلى أن نسبة المسلمين في نيجيريا تتراوح بين ٥٠٪ و٦٠٪؛ ما يجعلهم إما متساوين مع المسيحيين أو يشكلون الأغلبية، بينما المستقر تاريخياً وواقعاً أن نسبة المسلمين هناك هي نسبة كاسحة، بل وتعد نيجيريا، العضو في منظمة التعاون الإسلامي، من أكثر الدول الأفريقية كثافة في تعداد المسلمين.

وفي الهند، يُقدَّر عدد المسلمين بحوالي ١٩٦ مليون نسمة؛ ما يعادل نسبة تقارب ١٤% من إجمالي السكان.

وفي القارة الأوروبية، لا تتوفر في العديد من البلدان -وفق المصادر الحالية- معلومات دقيقة حول نسبة المسلمين.

أما في باقي الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية، فتتفاوت نسبة المسلمين بين ١٪ و٦%، حيث يُقدَّر عدد المسلمين في فرنسا بحوالي ٦ ملايين (حوالي ٩٪ من السكان)، وفي ألمانيا حوالي ٤ ملايين (حوالي ٥٪ من السكان)، وفي الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٦ ملايين (حوالي ١,٨٪ من السكان).

بناء على هذه المعلومات، يبدو أن النسب المذكورة في الإحصائية التي أشرت إليها قد لا تكون دقيقة تماماً، خاصة فيما يتعلق بنسبة المسلمين في نيجيريا والهند، ويُنصح بالتحقق من مصادر موثوقة ومحدثة للحصول على بيانات أكثر دقة حول توزيع السكان وفقاً للديانات في هذه الدول..».

وقبل أن نسهب في تحليل أبعاد هذه القضية، جدير بنا التوقف وقفة أكاديمية لتعريف ما معنى «الأقلية»،حسب المراجع العلمية.

التلاعب بأعداد المسلمين لا سيما الأقليات عائق أمام الوصول إلى إحصاءات موثوقة

تراجع الاهتمام بقضايا الأقليات المسلمة رغم تصاعد الاضطهاد والعنصرية ضدهم

تعريف الأقلية

«الأقلية» هي «جماعة تعيش بين جماعة أكبر، وتكون مجتمعاً تربطه ملامح تميزه عن المحيط الاجتماعي حوله، وقد تعتبر مجتمعاً يعاني من تسلط مجموعة تتمتع بمنزلة اجتماعية أعلى وامتيازات أعظم تهدف إلى حرمان الأقلية من ممارسة كاملة لمختلف الأنشطة؛ اجتماعية أو اقتصادية وسياسية، بل تجعل لهم دوراً محدوداً في مجتمع الأغلبية، وتختلف الأقليات من حيث العدد والمنزلة الاجتماعية، ومدى تأثيرها في مجتمع الأكثرية، ومهما كانت هذه المنزلة، فمجتمع الأكثرية، ينظر إليهم على أنهم غرباء عنه..».

وقد اختلف الباحثون فيما بينهم في التفرقة بين مفهومي الأقلية والدولة الإسلامية، فبعضهم يرى أنه إذا زادت نسبة المسلمين في الدولة عن ٥٠٪ تصبح الدولة إسلامية، ويرى البعض أنه إذا كان المسلمون أغلبية مقارنة بأصحاب الديانات الأخرى حتى وإن لم يتجاوزوا نسبة ٥٠٪ تصبح الدولة إسلامية، وهناك فريق ثالث من الباحثين يرى أن المعيار في تحديد إسلامية الدولة هو النص الدستوري أو ديانة رئيس

تأسيس اتحاد لتسريع نقل العنصر الصيني (الهان) إلى تركستان الشرقية

في إطار السياسات الصينية الرامية لتكثيف نقل العنصر الصيني (الهان) إلى تركستان الشرقية بوسائل متعددة، تم مؤخراً تأسيس اتحاد خاص باسم «اتحاد موظفي التعليم لدعم شينجيانغ»، وذلك تحت إشراف مجموعة من الجامعات الصينية.

ووفقاً لخبر نشره الموقع الرسمي للدعاية الصينية «تينغري تاغ»، فقد تم الإعلان رسمياً عن تأسيس هذا الاتحاد، في ٧ يوليو ٢٠٢٥م، بمدينة قاراماي التابعة لتركستان الشرقية، بمشاركة ١٩ جامعة صينية، منها: جامعة الصين للبترول (الجهة القيادية)، وجامعة بكين للنقل، وجامعة هوا باي للصناعات الكهربائية، وجامعة شيآن للإلكترونيات والتكنولوجيا، وغيرها من المؤسسات التعليمية.

وقد جاء في الخبر أن الاتحاد الجديد، الذي تم إنشاؤه في فرع جامعة الصين للبترول بمدينة قاراماي، يهدف إلى:

- إنشاء قاعدة مشتركة للتربية السياسية.
- تطوير مناهج تعليمية خاصة.
- تعزيز فهم المعلمين والطلاب للأهمية الإستراتيجية لمنطقة تركستان الشرقية.

ويضيف الخبر أن الحكومة الصينية تشجع الشباب من مختلف المقاطعات الصينية على القدوم إلى تركستان الشرقية والاستقرار فيها، مشيراً إلى أن عدد الطلاب الذين ينهون دراستهم ويقررون البقاء للعمل في المنطقة في تزايد مستمر، حيث يشكل الطلاب القادمون من المقاطعات الصينية ٨٥% من هؤلاء.

ورغم الادعاءات بأن هذا الاتحاد جاء لتطوير قطاع التعليم في تركستان الشرقية، فإن الواقع يُظهر أنه أُنشئ بالأساس لتكثيف عملية نقل العنصر الصيني، وخاصة الخريجين العاطلين عن العمل، إلى المنطقة، كما أن محتوى الخبر نفسه يتضمن إشارات واضحة إلى هذا الهدف.

فالسلطات الصينية تعمل على تهجير أعداد كبيرة من الأويغور والشعوب التركية الأخرى قسراً إلى داخل الصين، وإخضاعهم للعمل القسري.

في المقابل، تقوم بجلب الصينيين (الهان) إلى تركستان الشرقية وتوفير تسهيلات كبيرة لهم، مثل: السكن المجاني، والرواتب المرتفعة، والوظائف المستقرة.

والهدف النهائي من ذلك تغيير التركيبة السكانية وطمس الهوية، حيث تهدف هذه السياسة إلى تحقيق هدفين رئيسين؛ الأول: حل أزمة البطالة في مدن الصين الداخلية عن طريق إرسال العاطلين إلى تركستان الشرقية، والثاني: تغيير البنية السكانية لتركستان الشرقية من خلال تغليب العنصر الصيني (الهان) على السكان الأصليين، وبالتالي تسريع عملية «الصَينَنة» الكاملة للمنطقة.

وهكذا، تواصل الصين تنفيذ مخططها الشامل الذي يجمع بين التهجير، والقمع، والإحلال السكاني، في إطار سياسة تطهير عرقي ممنهجة تستهدف الهوية الأويغورية والتركستانية.

الجمهورية أو تشكيل النظام الحاكم[٢].

وقد حظيت أوضاع وشؤون الأقليات المسلمة حول العالم باهتمام علماء الأمة ومفكريها وإعلامييها والحركات الإسلامية الفاعلة، فعقدت من أجلها مؤتمرات وندوات، وصدرت دراسات وأبحاث، بل وتوافد صحفيون وباحثون إلى حيث تتواجد هذه الأقليات لدراسة أوضاعها على الطبيعة، ونتج عن ذلك دراسات متنوعة للتعريف بأوضاع هذه الأقليات، ومناطق انتشارها ومؤسساتها، وتاريخ الإسلام في الدول التي تعيش فيها، كما صدرت كتب وأبحاث تتناول جوانب مختلفة من أوضاع الأقليات؛ السياسية والفقهية، والاجتماعية، والثقافية..

لكن هذا الاهتمام الكبير ضعف في الفترة الأخيرة، حتى كادت قضايا هذه الأقليات تنزوي في عالم النسيان، بل إن بعضها بدأ ينقرض تحت ضربات العنصرية البغيضة والكراهية والتعصب الديني من الأغلبية التي بلغت حد التطهير العرقي وطرد المسلمين إلى خارج ديارهم بدعاوى مختلفة وكاذبة؛ كما فعل الصرب الأرثوذكس والكاثوليك مع المسلمين البوسنة والهرسك في أواخر تسعينيات القرن الماضي، وكما فعل ويفعل عبدة النار في بورما مع مسلمي الروهنجيا، ويفعل النظام الشيوعي الصيني مع مسلمي تركستان الشرقية.. وغيرها، وسط صمت العالم.

زيارات ولقاءات

وقد زرتُ عدداً من هذه الأقليات في ديارها، كما التقيت بعدد كبير منهم في مهجرهم حول العالم، وأتابع – كغيري من المهتمين- أحوالهم عن قرب، وأشهد أن

الصراعات والهجرة وصعود اليمين المتطرف.. تحديات متزايدة تواجه الأقليات المسلمة

رباط العقيدة ووشائج الإنسانية تستصرخ فينا للانتباه إلى ما يجري بحق هذه الأقليات من إبادة

تمسك هذه الأقليات بديارها التي ولدت فيها وبأرضها التي نشأت عليها وتشبثها بحقوقها والمنافحة عنها على كل المستويات وفي كل المنتديات، جسّد قضاياها ورسخها وجعلها ساخنة على الساحة الدولية، وقدموا في سبيل ذلك – وما زالوا- تضحيات كبرى تحت ضربات الحرب الشرسة الدائرة عليهم، وتمكنوا بفضل الله، ثم إيمانهم بعدالة قضيتهم وتمسكهم بحقوقهم من الظفر بموقع على خريطة اهتمام العالم بعد أن أصبحوا في كثير من البلاد قوة معترف بها، وتحظى بتمثيل سياسي ونقابي واقتصادي، حقق لها الاندماج في المجتمع والانسجام معه إلى حد ما؛ حتى إنها مرحَّب بها في العديد من المجتمعات.

بينما ما زال عدد منها يواجه التنكيل والطرد من البلاد، مثلما يحدث في بورما (ميانمار)، مثلاً، أو تذويب الهوية وممارسة الضغوط للتخلي عن الإسلام، مثلما يحدث في تركستان الشرقية على يد النظام الشيوعي الملحد.

وبات العالم يقف من تلك الأقليات موقف المتابع لكن دون الاهتمام الكافي، ويبقى العالم الإسلامي والعربي؛ شعوباً قبل الحكومات، مطالَباً بالوقوف إلى جانبهم بقوة لنيل هذه الحقوق، نقول الشعوب قبل الحكومات؛ لأن هناك حكومات -للأسف – ترفع مصالحها الخاصة فوق حقوق إخوانهم في الإسلام.

ويزيد من التحدي في هذه القضية أن الصراعات والحروب والتحديات الصعبة التي يواجهها العالم الإسلامي دفعت بموجات جديدة من هذه الأقليات، بل ومن المسلمين عموماً في العديد من البلاد المسلمة، دفعتهم إلى هجرات في موجات متدفقة إلى دول مختلفة من العالم فراراً بالدين، ومنها القارة الأوروبية.

لكن صعود اليمين المتطرف في أنحاء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ودول أخرى في أمريكا اللاتينية، وزيادة حدة انتشار ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، وما خلَّفته من مظاهر عنف وتحرش بالمسلمين، بات يمثل معضلة كبيرة أمام تلك الأقليات؛ الأمر الذي يستوجب وقفات تحليلية لشؤون هذه الأقليات؛ أقلية أقلية؛ للتعريف بهم وبالأخطار التي تحدق بهم وتهدد وجودهم، خاصة أن آلة التطرف والعنصرية ومقصلة العنصرية التي لا تتوقف تقضي عليهم رويداً رويداً ويوماً بعد يوم.

وفي صمت وسط انشغال الشعوب المسلمة كل بما يداهمه من أخطار، أن العديد من الحكومات المسلمة تتجاهل المجازر التي يقاسيها إخوانهم في الدين والعقيدة على يد دول استعمرتهم وتسيمهم القتل والتشريد وانتهاك الحقوق دون تدخل بكلمة إنصاف ليكف هؤلاء المستعمرون آلتهم القمعية.

إن رباط الدين والعقيدة ووشائج الإنسانية تستصرخ فينا جميعاً القلوب والضمائر للانتباه بقوة إلى ما يجري بحق هذه الأقليات من إبادة وحشية تدور رحاها في صمت، وفي كل الأحوال يظل علينا واجب النصرة والعون لهذه الأقليات فـ«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، ولله الأمر من قبل ومن بعد! ■

الهوامش

(١) من مقدمة موسوعة الأقليات المسلمة في العالم.

(٢) عربي بوست.

(٣) ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

طفل هندي يخطّ المصحف كاملاً بيده.. إنجاز فريد من ولاية كيرالا

عبدالرؤوف توتي بن حمزة
كاتب وباحث هندي

في إنجاز غير مسبوق أعاد تسليط الضوء على مكانة الخط العربي وقيمة العمل اليدوي، استطاع طفل هندي في التاسعة من عمره من ولاية كيرالا، أن يُنجز بخط يده نسخة كاملة من المصحف الشريف، مستغرقاً في ذلك قرابة عامين ونصف عام من العمل المتواصل والدؤوب.

الطفل محمد مدلاج، المولود في ١١ مايو ٢٠١٦م، أتمّ هذا المشروع الجليل في ٢٦ مايو ٢٠٢٥م، بعد أن خصّص ساعة يومية من وقته لكتابة صفحات من المصحف، باستخدام أقلام الرصاص على أوراق من حجم «A4»، ملتزماً بجماليات الخط ودقة التشكيل.

وقد أبدى الطفل خلال هذه التجربة عزيمة لافتة، ووعياً ناضجاً يفوق عمره، وحرصاً شديداً على إنجاز عمل متقن يليق بجلال كتاب الله تعالى.

وينتمي مدلاج إلى أسرة مهتمة بالعلم والدين، حيث تعمل والدته فاطمة الوفية مدربة في «اتحاد المحل السنية»، ووالده جابر الهدوي يعمل عميداً في أكاديمية دار الإرشاد، كما يشغل منصب منسق لمدارس «البر» الموجهة للأطفال.

وقد وفّرت الأسرة بيئة حاضنة ومشجعة ساعدت الطفل على المضي قدماً في مشروعه، حيث تابعت الأم مراحل الكتابة بدقة، وساعدت في تصويب الأخطاء ومواصلة التحفيز.

وبدأت رحلة محمد في كتابة المصحف يوم ١٦ ديسمبر ٢٠٢٢م، وهو في السادسة من عمره، بعد أن أبدى رغبته في تطوير خطه العربي إثر مشاركته في إحدى المسابقات المحلية للأطفال دون سن السابعة، وشارك محمد في ٤ مسابقات ضمن هذا المهرجان: الخط الإنجليزي، والقراءة باللغة الميالمية، وتلاوة سورة «الفاتحة»، والخط العربي، وحصل على المركز الأول في المسابقات الثلاث الأولى، بينما نال المركز الثاني في مسابقة الخط العربي؛ ما أثار في نفسه حافزاً فريداً لتطوير قدراته في هذا المجال.

وبعد انتهاء الكتابة، خضع المصحف لمراجعة دقيقة من قبل عشرات الحفّاظ والحافظات الذين وُزّعت عليهم أجزاء المصحف لمراجعته وتصويبه، لضمان خلوّه من الأخطاء، والحفاظ على دقة النصوص، بما يتناسب مع قدسية المصحف الشريف، واستغرقت هذه المرحلة قرابة شهرين، وتمت خلالها مراجعة كل صفحة أكثر من مرة، قبل اعتماد النسخة النهائية.

ويتابع محمد دراسته النظامية في مدرسة محلية، إلى جانب تعلم القرآن بأكاديمية لتحفيظ القرآن الكريم عبر الإنترنت، حيث أتمّ حتى الآن حفظ جزأين من كتاب الله تعالى عن ظهر قلب، ويتمتع بمهارات واضحة في التجويد والتلاوة، حيث ظهرت في مقطع مصوّر له نُشر مؤخراً ولاقى تفاعلاً واسعاً عبر وسائل التواصل.

ولاقت تجربة الطفل محمد مدلاج صدى واسعاً داخل كيرالا وخارجها، إذ توافد عليه الزوّار من مختلف أنحاء الهند، من أفراد وممثلين عن مؤسسات تعليمية وثقافية، للاطلاع على النسخة المكتوبة بخط يده من المصحف الشريف، التي أبهرت كل من شاهدها، كما تلقى دعوات رسمية من جهات تعليمية ومجتمعية لتكريمه والاحتفاء بجهده العظيم.

وتُعدّ ولاية كيرالا من أبرز المناطق ذات الحضور الإسلامي العريق في الهند، وتزخر بمعاهد ومراكز تعليم القرآن الكريم، وتُولي اهتماماً خاصاً بفن الخط العربي؛ ما يجعل من قصة مدلاج امتداداً طبيعياً لهذا الإرث، ونموذجاً تربوياً يُحتذى في زمن تراجع فيه الانشغال بالقيم التربوية العميقة.

وتجدر الإشارة إلى أن محمد مدلاج لم يُقدّم فقط عملاً فنياً، بل ترك أثراً روحياً وتربوياً واسعاً، وأثبت أن حب القرآن الكريم إذا سكن في القلب، يمكن أن يتجلّى في أبهى صوره، حتى على يد طفل صغير، في بلدة بعيدة من جنوب الهند، بخطٍ يفيض نوراً ويصل مداه إلى السماء.■

د. أشرف دوابه

رئيس الأكاديمية الأوروبية للاقتصاد الإسلامي

شبهات حول الاقتصاد الإسلامي (2)

لا فرق بين البنوك الإسلامية والبنوك التقليدية

من الشبهات التي تثار حول الاقتصاد الإسلامي بصفة عامة والبنوك أو المصارف الإسلامية بصفة خاصة أنه لا فرق بين البنوك الإسلامية والبنوك التقليدية، وقد تأتي هذه الشبهة من عدم فهم لطبيعة عمل البنوك الإسلامية التي تختلف بصورة جذرية عن البنوك التقليدية، أو نتيجة سوء سلوك بعض البنوك الإسلامية وعدم مراعاتها للسمعة والمصداقية الشرعية، فهذه البنوك يقودها بشر منهم المصلح ومنهم المفسد، ويجب ألا نحاكم تلك البنوك بسوء سلوك بعض أبنائها، الذين يجب أن نقومهم إذا أخطؤوا، دون أن يُمس ذلك المنهج الذي تقوم عليه هذه البنوك.

إنه شتان بين البنوك الإسلامية والبنوك التقليدية، سواء في المنهج أو الأهداف أو الأولويات أو الوظائف أو آليات العمل، فمن حيث المفهوم تمثل البنوك التقليدية مؤسسات مالية تحقق الربحية من خلال الفرق بين الفائدة المدفوعة للمودعين والفائدة المتحصلة من المقترضين، بينما البنوك الإسلامية مؤسسات مالية تقوم بتجميع الأموال وتوظيفها وتقديم الخدمات المصرفية اللازمة وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

من حيث النشأة:

يعد الربع الأخير من القرن السادس عشر الميلادي البداية الحقيقية لنشأة المصارف بصورتها المعاصرة، وارتبط ظهورها في البلدان الإسلامية بالاستعمار الغربي لها، بينما يعد العام ١٩٧٥م التأريخ الحقيقي لميلاد المصارف الإسلامية، حيث تم إنشاء بنك دبي الإسلامي كأول بنك تجاري إسلامي، لتوفير البديل المصرفي الشرعي لجمهور المسلمين.

من حيث الهدف:

فإن البنوك التقليدية يقتصر هدفها على الربحية، بينما البنوك الإسلامية يتمثل هدفها في المساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية جنباً إلى جنب مع الربحية.

من حيث المنهج:

فإنه بالنسبة للبنوك التقليدية وضعيّ نفعيّ ماديّ، بينما هو رباني عقائدي أخلاقي في البنوك الإسلامية.

من حيث سعر الفائدة:

فإنه أساس عمل البنوك التقليدية، حيث تتعامل به أخذاً وعطاءً، بينما لا تتعامل به البنوك الإسلامية أخذاً أو عطاءً باعتباره ربا.

من حيث الموارد المالية الداخلية:

فإنه يمكن للبنوك التقليدية إصدار أسهم ممتازة، تعطي صاحبها حق امتياز في الربح والتصفية ونحوها، وفي البنوك الإسلامية لا يمكن إصدار مثل هذه الأسهم التي تميز بين الشركاء في الشركة، ويقتصر فيها إصدار الأسهم على الأسهم العادية.

من حيث الموارد المالية الخارجية:

تعتمد البنوك التقليدية على الحسابات الجارية إضافة إلى الودائع التي تمثل قرضاً بفائدة يتم دفعها للمدخرين، بينما تعتمد البنوك الإسلامية على الحسابات الجارية وفقاً للقاعدة الشرعية «الخراج بالضمان»، فمن يتحمل أخطار شيء نتيجة ضمان الملكية يحصل على عائده، إضافة إلى حسابات الاستثمار وفقاً لنظام المضاربة الشرعية غنماً وغرماً مع المدخرين، ولا مجال لسعر الفائدة عطاءً في هذه الحسابات.

شتان بين البنوك الإسلامية والبنوك التقليدية في المنهج أو الأهداف أو الأولويات أو الوظائف أو آليات العمل

البنوك التقليدية مؤسسات مالية تحقق الربحية من خلال الفرق بين الفائدة المدفوعة للمودعين والفائدة المتحصلة من المقترضين

البنوك الإسلامية مؤسسات مالية تقوم بتجميع الأموال وتوظيفها وتقديم الخدمات المصرفية وفق أحكام الشريعة الإسلامية

من حيث استخدامات الأموال:

فإن البنوك التقليدية لا يهمها إذا كانت تلك الاستخدامات حراماً أم حلالاً، وتتسم استخدامات الأموال وأساليب التمويل والاستثمار بالمحدودية؛ حيث تتجه أساساً نحو ثلاثة أساليب على سبيل الحصر، هي: الإقراض بفائدة، والحساب الجاري المدين، وخصم الأوراق التجارية.

أما استخدامات الأموال في البنوك الإسلامية فلا بد أن تكون في الحلال الطيب، وتتسم تلك الاستخدامات وأساليب التمويل والاستثمار بالتنوع، حيث تتجه استخدامات الأموال بصفة رئيسة نحو نوعين أساسيين من عقود الاستثمار؛ أولهما: عقود المعاوضات وما تتضمنه من البيع، سواء أكان بيعاً مطلقاً، أو مرابحة أو آجلاً، أو سلماً، أو استصناعاً، فضلاً عن الإجارة سواء أكانت إجارة أشياء أو أعمال، إضافة إلى الوكالة بالاستثمار، والجعالة، وثانيهما: عقود المشاركات وما تتضمنه من المشاركة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والمغارسة.

من حيث آلية التمويل والاستثمار:

فإن البنوك التقليدية تعتمد على الغنم المضمون في سعر الفائدة الثابت، فالخسارة يتحملها المقترض وحده، بينما في البنوك الإسلامية يتم المشاركة في الغنم والغرم، وهذا هو قمة العدل.

من حيث الجدارة الائتمانية:

تركز البنوك التقليدية على جدارة العميل وما يمتلكه من ضمانات، بينما تركز البنوك الإسلامية على جدارة وجدوى المشروع ومراعاته للأولويات الإسلامية من ضروريات فحاجيات فتحسينات.

من حيث النقود:

فهي في البنوك التقليدية، سلعة يتم الاتجار فيها، مما يخرجها عن وظيفتها ويحول بين الاستقرار النسبي لها، ويغذي التضخم، بينما هي في البنوك الإسلامية مقياس للقيم ووسيط للتبادل وحفظ للثروة وأداة للوفاء يتم الاتجار بها لا فيها، فهي ليست سلعة وليس لها قيمة زمنية إلا من خلال ارتباطها بالتعامل بالسلع بشروطها الشرعية.

من حيث وظيفة رأس المال:

فإن البنوك التقليدية تسعى من خلاله إلى تحقيق مصالحها الشخصية، وفي معزل عن مصالح المجتمع واحتياجاته الضرورية، بينما رأس المال في البنوك الإسلامية خادم لمصالح المجتمع.

من حيث الربح:

فإنه يتحقق في البنوك التقليدية من خلال الفرق بين الفائدة الدائنة والمدينة، ومن ثم تقرير أن النقد المصدر الوحيد للكسب رغم أن النقود لا تلد نقوداً، بينما البنوك الإسلامية يستحق الربح فيها إما بالمال (كالمبادلات وشركات الأموال)، أو العمل (كالإجارة وشركة الصنائع والمضاربة)، أو الضمان (كشركة الوجوه والقرض الحسن)، ومن ثم تقرير أن العمل هو مصدر الكسب.

من حيث الخدمات المصرفية:

فإن عمولتها في البنوك التقليدية لا تمثل تكلفة الخدمة ولا تحكمها طبيعة الخدمة بكونها حلالاً أم حراماً، بينما العمولة في البنوك الإسلامية تمثل تكلفة الخدمة، ويجوز أن تحدد بأجر مقطوع أو بنسبة من محل الخدمة، وطبيعة الخدمة المقدمة لا بد أن تكون حلالاً لا حراماً، ومن ثم فلا مكان فيها لخصم الأوراق التجارية كما في المصارف التقليدية.

من حيث الخدمات الاجتماعية:

فإن البنوك التقليدية تستخدمها من باب الوجاهة والتسويق، ولا مكان فيها للقرض الحسن أو تجميع الزكاة والصدقات وإنفاقها في مصارفها أو تحقيق التكافل الاجتماعي، بينما البنوك الإسلامية من أولوياتها تجميع الزكاة والصدقات وإنفاقها في مصارفها من خلال تقديم القروض الحسنة من صندوق القرض، أو من صندوق الزكاة والصدقات، والمساهمة في المشروعات الاجتماعية ودعمها، وترسيخ مفهوم التكافل الاجتماعي.

من حيث الرقابة الشرعية:

فإنه لا وجود لها في البنوك التقليدية، بينما هي من أساسيات عمل البنوك الإسلامية للتأكد من كون معاملاتها تتم وفقاً للأحكام الشرعية.

من حيث المقاصد الشرعية:

فإنه لا وجود لها كذلك في البنوك التقليدية، بينما من الأساسيات الحاكمة لعمل ونشاط البنوك الإسلامية؛ مراعاة الأولويات الإسلامية والانفصام عن فقه الحيل المذمومة.

من حيث الالتزام بالقيم العقدية الأخلاقية:

فإنه لا يوجد أي اعتبار لها في البنوك التقليدية إلا ما لا يتعارض مع القانون، بينما البنوك الإسلامية تحكمها الجوانب العقدية والأخلاقية؛ فالمال استخلاف، ومن ثم فإن إعمار الأرض والالتزام بالأخلاق الإسلامية من أسس ومنهج عملها.

من حيث التوعية الادخارية:

فإن البنوك التقليدية تركز على كبار المدخرين دون صغارهم؛ ومن ثم لا تهتم بتنمية الوعي الادخاري في المجتمع، بينما البنوك الإسلامية توائم بين كبار المدخرين وصغارهم، وتفتح الباب أمام صغار المدخرين لاستثمار أموالهم، ومن ثم تولي اهتماماً ملحوظاً بتنمية الوعي الادخاري في المجتمع.

من حيث دعم البنوك المركزية:

نجد أن هذا الدعم للأسف الشديد قائم بقوة للبنوك التقليدية، في حين أنه يكاد يكون مفقوداً بالنسبة للبنوك الإسلامية، فلا استفادة منها كملجأ أخير للسيولة، كما أن نظام الاحتياطي القانوني وغيره من العديد من الأدوات والأساليب الرقابية للبنوك المركزية لا تتواءم مع آلية عمل المصارف الإسلامية ■

معضلة الصداقة في زمن الإنترنت!

د. أحمد عيسى
دكتوراه في العقيدة وأصول الدين

صارت الصحبة الصادقة عملة نادرة في زمن الفتن والإنترنت، تشبه التنقيب عن المعادن النفيسة في غابة كثيفة؛ حيث نستخدم التواصل الافتراضي بكثرة، لكن ما تأثير ذلك على فرص بناء صداقات شخصية متينة وآمنة، مهمة لحياتنا وأولادنا وديننا؟

وفقاً لاستطلاع حديث أجري في ١٤٠ دولة، يشعر ما يقرب من ربع سكان العالم بوحدة وعزلة اجتماعية شديدة أو شبه شديدة[١]، ذلك رغم أننا نعيش في العصر الرقمي الذي أتاح باقة من أساليب التواصل التي لم تتح للبشرية من قبل، وهذه مفارقة غريبة!

لا يتفاعل الناس بينهم كثيراً وجهاً لوجه، وكأننا أصبحنا مجرد رموز رقمية على صفحاتنا الإلكترونية، وإن كان لنا أصدقاء على الإنترنت فهي صداقة بلا روح أو مخالطة.

وجيل الألفية، أول جيل يترعرع مع الثورة الرقمية والهواتف الذكية ووسائل التواصل، لم يتمكن ربعهم من تسمية صديق واحد، لعدم وجود صديق مقرب في عالمهم الحقيقي، ويشعر ثلثهم بالعزلة والوحدة؛ مما يؤثر على قدرتهم على تكوين وإبقاء الصداقات، وهو شعور يؤدي للاضطراب العاطفي ويرتبط وثيقاً بالاكتئاب[٢].

من الأسباب أن منصات التواصل تستغل المستخدم نفسياً لإبقائه ملتصقاً بالشاشة، ويتعرض لانطباع وهمي بالتواصل والشعور بأن الآخرين يعيشون حياة غنية ومتنوعة بشكل لا يُصدق، وهذا يترجم بالشعور بالوحدة في العالم الحقيقي، والآن ينجذب مئات الملايين لصحبة شخصيات الذكاء الاصطناعي الوهمية بحثاً عن بديل للصديق البشري الحقيقي!

صداقات «الواي فاي»!

تتعزز صداقات الشباب بين ١٣ و١٧ عاماً في بيئات التواصل، التي تؤدي دوراً حاسماً في تعريف المراهقين بأصدقاء جدد لم يلتقوا بهم، وقد أفاد ٦٤% منهم أنهم التقوا بأصدقاء جدد عبر الإنترنت، وقال ٧٢%: إنهم يقضون وقتاً مع أصدقائهم على وسائل التواصل؛ ٢٣% يفعلون ذلك يومياً، و٥٧٪ من البنين يلتقون بأصدقاء جدد عبر الإنترنت أثناء اللعب معهم على بُعد[٣].

بالإضافة إلى التسبب في انخفاض التواصل البشري، أصبح معلوماً للجميع سلبيات وسائل التواصل عبر الإنترنت، منها مشكلات العلاقات الاجتماعية والزوجية، ومخاوف اختراق الخصوصية والاحتيال، وانتشار المعلومات المضللة، وأكاذيب الذكاء الاصطناعي، والمساهمة في العزلة والقلق والاكتئاب.

كما يُعدّ التنمر الإلكتروني والتحرش والمضايقات، والتعرض لمحتوى غير لائق، من أكبر المخاوف، ويمكن أن تُسبب وسائل التواصل الإدمان؛ ما يؤدي إلى الإفراط في استخدامها وتأثيراته السلبية على النوم والصحة والأداء الأكاديمي.

ويختار الشباب القيام بأشياء لا يفعلونها، لأنهم يريدون الشعور بالانتماء والقبول من مجموعة أصدقائهم، فيجربون أموراً لا يهتمون بها عادة؛ كالتدخين الإلكتروني أو التصرف بسلوكيات غير اجتماعية.

وقد يؤدي ضغط الأقران إلى: تغيير طريقة تفكيرهم ورؤيتهم عن الدين والحياة، وحديثهم وكلماتهم، واختيار نفس الملابس وتسريحة الشعر التي يختارها أصدقاؤهم، والاستماع إلى نفس الموسيقى، ومشاهدة نفس البرامج، والقيام بأشياء محفوفة بالأخطار أو كسر القواعد، والمواعدة أو المشاركة في أنشطة جنسية، والتدخين وتعاطي الكحول والمخدرات!

كمثال؛ أفاد ٤٤% في سن الخامسة عشرة بإنجلترا أنهم عُرض عليهم المخدرات من أقرانهم، واعترف ٣٢% من الشباب بتعاطيهم، وقال معظمهم: إن الحصول عليها سهل جداً[٤]!

فيبدأ تعاطي المخدرات مبكراً في المدرسة،

والشراء من الإنترنت من الموزع «الرقمي»، فعلى الأسر أن تنتبه لذلك، فآثار المخدرات مدمرة على الأشخاص والأسر والمجتمعات، وصحبة السوء قد تؤدي أيضاً إلى الوقوع في الإلحاد والصداقات المحرمة والشاذة، فقرناء السوء إن هَمَّ صاحبهم بخير منعوه، وإن امتنع عن منكر زينوه، وإن داوم صحبتهم كانت عاقبته الحسرة والندامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان).

حلول

كما يحاول الأمهات والآباء جاهدين من منطلق حبهم لأولادهم اختيار أحسن المدارس، وأنظف الملابس، وألذ الطعام، عليهم التدقيق في اختيار الأولاد لمن يصادقون ويصحبون، وبالإضافة إلى الاستشعار بمراقبة الله، وزرع الإيمان القلبي، والإسلام العملي.

ابنِ في ولدك الثقة لتساعده على مقاومة تأثير الأقران السلبي في أماكن الدراسة والإنترنت، وابنِ العلاقة القوية معه كي يشعر بالحب والقبول والأمان، وأبقِ قنوات التواصل مفتوحة معه كي لا يتردد في التحدث إليك إذا شعر بالضغط لفعل شيء لا يرتاح له، اقترح له طرقاً للرفض وقول: «لا» إذا توجس بأنه مُجبر على فعل شيء لا يريده.

إن الإنسان بطبعه يتأثر بجليسه، وأخلاق خليله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المرءُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ» (رواه أحمد)، وقيل للنبيِّ صَلَّى اللَّه عليه وسلَّم: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ ولَمَّا يَلْحَقْ بهِمْ؟ قالَ: «المَرْءُ مع مَن أحَبَّ» (رواه البخاري)، فإذا أحب أهل الطاعة كان معهم في الجنة، وإذا أحب أهل المعصية، كان معهم في مصيرهم.

ولقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الجليس المصاحب أثرُه ظاهرٌ، فقال: «إنَّما مَثَلُ الجَليسِ الصَّالحِ، والجَليسِ السَّوْءِ، كَحامِلِ المِسْكِ، ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمَّا أنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» (رواه مسلم).

ويقول الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧)؛ فالأخلاء المتحابون على الكفر والمعصية، تنقلب محبتهم يوم القيامة عداوة، لأن محبتهم في الدنيا كانت لغير الله، والصداقة الزائفة، المبنية على تحصيل المصالح الدنيوية، الحب فيها مصطنع مغشوش، لكن الذين اتقوا الشرك والمعاصي، فإن محبتهم تدوم، بدوام من كانت المحبة لأجله، قال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللَّهَ يقولُ يومَ القيامَةِ: أينَ المُتحابُّونَ بجَلالي؟ اليومَ أظلُّهُمْ في ظِلِّي، يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي» (رواه مسلم)؛ أي سبب حبهم هو إجلالي وتعظيمي.

الصُّحبة الشاملة

الصداقة الحقة في صحبة من يتوسم فيهم الصلاح من العقيدة السليمة، والعقل الراجح، والتقوى وحسن الخلق، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «لا تصاحبْ إلا مؤمناً..» (رواه الترمذي).

وحقوق الصداقة: في المال بالمواساة، وبالنفس بالإعانة لقضاء حاجاته، وباللسان بمدح محامده، والعفو عن زلاته، والدعاء والوفاء له، والتخفيف عنه وترك التكلف، قال صلى الله عليه وسلم: «خيرُ الأصحابِ عندَ اللهِ خيرُهم لصاحبِه..» (رواه ابن حبان)، وصحبة الصالحين جزء من الصحبة الشاملة:

- الصحبة مع الله سبحانه بحسن الأدب، ودوام الطاعة والهيبة، كحديث دعاء السفر: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ..» (رواه مسلم)؛ يَعني تَصحَبُني في سفري، فتسهله عليَّ، فهو سبحانه معنا في سفرنا، لأنه بكل شيء محيط.
- والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سُنته، ومنهجه، فنحن إخوانه كما في الحديث: «وددْتُ أنَّا قدْ رَأَيْنا إخْوانَنا»، قالوا: أوَلَسْنا إخْوانَكَ يا رَسولَ اللهِ؟! قالَ: «أنتُمْ أصْحابِي وإخْوانُنا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ..» (رواه مسلم).
- والصحبة مع أولياء الله المتقين والعلماء العاملين بالاحترام والتوقير والحُرْمة.
- والصحبة مع الأهل بحُسْن الخلق، وجميل العشرة.
- والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثماً.
- والصحبة مع الوالدين بالإحسان إليهما؛ ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (الإسراء: ٢٣)، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾(لقمان: ١٥).
- ومع الأولاد اقتراب وصداقة وتبسط، ونصح وإرشاد، وتربية ومراقبة ووقاية من النار.

لا شك في وجود المعضلات والتحديات أمامنا جميعاً وخاصة الأجيال الجديدة لاكتساب صداقات صادقة، ولكن التعرف على أخطار وسائل الاتصال الإلكترونية، وضغوط القرناء، والتحذير منها، والتحلي برؤية الإسلام عن الصحبة، سينير لنا طريق الحياة الطيبة ■

الهوامش

(١) Gallup, Almost a Quarter of the World Feels Lonely, ١٤/١٠/٢٠٢٣.

(٢) YouGov, Millennials are the Loneliest Generation, ٣٠/٧/٢٠١٩.

(٣) Pew Research Center, Teens, Technology and Friendships, ٦/٨/٢٠١٥.

(٤) Office of National Statistics, Drug Misuse in England and Wales: Year Ending March ٢٠٢٤.

د. خالـد أبو شـادي
داعيـة إسلامـي

يا حامل القرآن (10)

أقسام العمل بالقرآن

اتفقنا من قبل أن الهدف من إطالة النفس في ضرب الأمثلة هو أن أدربك على مهارة تدبر الآيات واستخلاص الواجبات العملية منها، وفي هذا المقال نختم هذه الرحلة المباركة.

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)؛ افحص وتأمل أمرَ اللّه نبيَّه بمشاورة أصحابه ليقتدي به من بعدَه فغيرُه أولى بالمشورة؛ لأنه مؤيد بالوحي وغيرُه ليس كذلك، لذا سأحرص بعد قراءتي لهذه الآية على أن أستشير أصحاب العقل والرأي التماساً للرأي الشديد والعقل الرشيد.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران: ١٨٧)؛ فحص الحسن البصري هذه الآية وتأملها جيداً ثم قال: وهي في كل من أوتي علمَ شيءٍ من الكتاب، فمن علم شيئاً فليعلِّمه وإياكم وكتمان العلم فإنه مهلكة.

لذا مهما قلَّ علمي لن أبخل به؛ «بلِّغوا عني ولو آية»، وسأذكّر غيري باللّه، أقدّم له نصيحة أو أحضه على خير أو أحذره من شر أو أدله على فرصة ثواب أو أحول بينه وبين عمل يؤدي به لتصلية عذاب.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (النساء: ٨)؛ كيف العمل بهذه الآية؟ وهل هي خاصة بالميراث وتقسيمه فحسب؟ قال الشيخ السعدي: ويؤخذ من هذه الآية أن كل من تطلّع وتشوّق ممن حضر مع الإرث له أن يعطى ما يتيسر منه، وفوق ذلك تحثك الآية على أن تبذل لهذا المحتاج قولاً طيباً كدعائك له بالبركة فيه وأن يوسع عليه.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (النساء: ١٤٠)، ما المستفاد من هذه الآية في الجانب العملي؟ المساواة بين العاصي ومن جالسه من غير إنكار عليه إقراراً لمعصيته.

لذا، لن أجلس مع صاحب معصيه إلا أن أنهاه عن معصيته، فإما أن أزيل منكره أو أزول عنه.

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الأنعام: ٧٠)؛ من خلال فحصي لهذه الآية خرجت بأمرين:

الأول: التذكير بالقرآن واستعماله في نصح غيري وإرشاده.

الثاني: أن المعاصي قيدٌ لصاحبها وحبس له عن الجَوَلان في فضاء الإيمان، وحائل بين العبد وسماء التوفيق؛ لذا سأحرص كل ليلة على تجديد توبتي قبل نومي حتى لا أكون محبوساً بها في الدنيا ولا في الآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١)؛ افحص متى يمس طائف الشيطان العبدَ؟

والجواب: أقرب ما يكون هذا المس الشيطاني عند الغضب، قال سعيد بن جبير: هو للرجل يغضب الغضبة فيذكر

الله فيكظم الغيظ.

لقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا»، وهذا في الناس عزيز ونادر، أن يقول الإنسان كلمة الحق دائماً، فإن أكثر الناس إذا غضب لا يتوقف عما يقول.

فعملي هنا أن أستعيذ بالله عند الغضب، أو ألزم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «إذا غضب أحدكم فليسكت» (قالها ثلاثاً) (رواه أحمد بإسناد حسن).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: ٢)؛ قال القائل: إذا ذُكر المحبوب عند حبيبه ترنح نشواناً وحنّ طروباً، فهل يحضر قلبي عند القرآن والذكر؟ هل أفرح بالقرآن خاصة إذا علمتُ من معانيه ما لم أكن أعلم؟ هذا هو العمل الذي سأحرص عليه إن أردت أن أحقق شروط الإيمان كما ورد في الآية.

قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ (يونس: ٨٩)؛ الخطاب هنا لموسى، وهارون، عليهما السلام، على أنه لم يذكر الدعاء إلا على موسى وحده، فقد كان موسى يدعو، وهارون يؤمّن على الدعاء.

والعمل المستفاد أنني سأحرص على

هناك آيات تهدف إلى تصحيح المفاهيم وهي تخاطب العقل والوجدان

.. وغيرها تذكرة ورقائق وتشتمل على القصص وأخبار الغيب وهذه تخاطب القلب

.. وأخرى تدعو إلى مكارم الأخلاق وتحذر من مساوئها وتهدف إلى تعديل السلوك

الخشوع عند سماع أي دعاء مع تأميني عليه طمعاً في الإجابة والتماسها، فإن الدعاء يستجاب للداعي والمؤمّن عليه.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ (الكهف: ٨٢)؛ فحصُ هذه الآية يشدك شداً إلى العمل الصالح، ويحفزك عليه ليس فقط لضمان نجاتك، بل نجاة أولادك بسببك، حيث سأزيد من عملي لأجلهم، قال ابن كثير: في تفسيره لهذه الآية: فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته، وتشملهم بركة عبادته في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقرّ عينه بهم.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ

عليك أن تتدبر جيداً لتعرف المطلوب منك في رسائل ربك في كتابه الكريم

أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (النساء: ١٢٣)؛ فالإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، بل إن أهدافي وطموحاتي لن تتحقق بالأماني والدعاء فحسب، لا بد مع الدعاء من عمل يرفعه، كما قال وهب بن منبه: مثَل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بلا وتر، ومثَله الذي تغره الرؤى والأحلام، ويتكل عليها دون سعي وبذل للوصول للأهداف.

أقسام العمل بالقرآن:

وبعد هذه الجولة السريعة في بعض آيات القرآن، رأينا خلالها كيف أن فحص الآيات يعينك على التدبر فيها واستخراج الواجبات العملية.

وقبل أن نختم هذا الفصل نتحدث عن أقسام الآيات من حيث الهدف العملي الذي تستهدفه والجزء الذي تخاطبه في الإنسان:

الأول: آيات تهدف إلى تصحيح المفاهيم والتصورات، وهذا القسم يخاطب العقل والوجدان.

الثاني: أوامر ونواهٍ، وهذه الآيات تخاطب غالباً الجوارح.

الثالث: عبادات قلبية مثل التوكل والصبر والرضا واليقين، وهذه تخاطب القلب.

الرابع: آيات تهدف إلى علاج أمراض قلبية؛ كالحسد والنفاق والكبر، وهذه تخاطب القلب.

الخامس: آيات تدعو إلى مكارم الأخلاق وتحذر من مساوئها، وهذه تهدف إلى تعديل السلوك.

السادس: آيات تذكرة ورقائق وتشتمل على القصص وأخبار الغيب، وهذه تخاطب القلب.

وهكذا تتنوع الأعمال المطلوبة منك في القرآن، فهي ليست لوناً واحداً يخاطب الجوارح فحسب، وتتنوع معها مناطق التأثير؛ ولذا كان عليك أن تتدبر جيداً لتعرف المطلوب منك في رسائل ربك في كتابه الكريم، وتعرف كيف تنفذها بعد انتهاء تلاوتك وقراءتك. ■

إعداد الدعاة في الحضارة الإسلامية (7)

التمسك بالقرآن الكريم

د. رمضان أبو علي
أستاذ جامعي، دكتوراة في الدعوة الإسلامية

أورد كتاب السير في الطَّبقة الأولى من التابعين أن رجلاً من بلاد فارس قال: وقعت أنا ونفر من قومي أسارى في أيدي المجاهدين، ثم ما لبثنا أن غدونا مملُوكين لطائفة من المسلمين في البصرة، فلم يمض علينا وقت طويل حتى آمنا بالله وتعلقنا بحفظ كتاب الله، وكان منَّا من يؤدي الضرائب لمالكيه، ومنَّا من يقوم على خدمتهم، وكنت واحداً من هؤلاء، فكنا نختم القرآن كل ليلة مرة، فشق ذلك علينا، فجعلنا نختمهُ مرة كل ليلتين، فشق ذلك علينا، فجلعنا نختمه كل ثلاث، فشق علينا، فلقينا بعض الصحابة، وشكونا لهم، فقالوا: اختموه كل جمعة مرة، فأخذنا بما أرشدونا إليه، فلم يشق ذلك علينا.

وفي يوم من أيام الجمع توضأ هذا الرجل، ثم استأذن سيدته أمية امرأة أبي رباح بالانصراف، وكانت سيدة رصاناً عاقلة وقوراً، فقالت: إلى أين؟ فقال: المسجد الجامع، فقالت: هيا بنا، ثم مضيا معاً، ودخلا المسجد، وهو لا يعلم ما تريد سيدته، فما إن امتلأ الجامع، وارتقى الإمام المنبر حتى قالت: اشهدوا يا معشر المسلمين أني أعتقت غلامي هذا رغبة في ثواب الله وطمعاً بعفوه ورضاه، وأنه ليس لأحد عليه من سبيل إلاّ سبيل المعروف، اللهم إني أدّخره عندك ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

إنه أبو العالية، رفيع بن مهران، أحد أعلام التابعين، الذي دخل على ابن عباس وهو أمير البصرة فرحب به ورفع منزلتهُ، وأجلسه على سريره عن يمينه، وكان في المجلس طائفة من سادة قريش، فتغامزوا به وتهامسوا بينهم، وقالوا: أرأيتم كيف رفع ابن عباس هذا العبد على سريره؟ فأدرك ابن عباس ما يتغامزون به، فالتفت إليهم وقال: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ يَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفاً، وَيُجْلِسُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الأَسِرَّةِ.

ولما أراد أبو العالية المسير للجهاد في سبيل الله، وجد آلاماً شديدة في رجله، فقال له الطبيب: أنت مصابٌ بالآكلة، ولا بدَّ من بتر ساقك، فأذن له، ولما أحضر الطبيب مناشيرهُ لنشر العظم، قال: أريد أن أسقيك جرعة مخدر لكيلا تشعر بالألم؟ فقال أبو العالية: بل هناك ما هو خير من ذلك، أحضروا لي قارئاً يتقن القرآن، واجعلوه يقرأ ما تيسر من آياته البينات، فإذا رأيتموني قد احمر وجهي، واتسعت حدقتاي، وثبت نظري في السماء، فافعلوا بي ما شئتم، فنفذوا أمره، وبتروا ساقه، فلما أفاق قال الطبيب: كأنَّك لم تشعر بآلام الشق والبتر؟ فقال: لقد شغلني برد حب الله وحلاوة ما سمعتهُ من كتاب الله عن حرارة المناشير[1]،

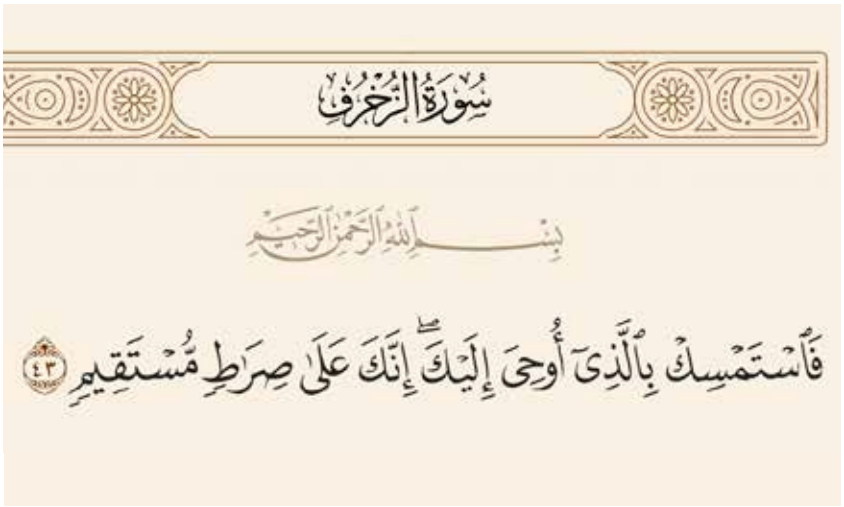

التمسك بالقرآن الكريم يطهر القلب ويحفظه من الهوى والزلل

حفظ القرآن الكريم أعظم معين على تعلم الأبناء سائر العلوم

التمسك بالقرآن يدفع الأمة إلى أن تتبوأ مواقع الخير والرشاد

إنه مثال من أروع الأمثلة التي صنعتها الحضارة الإسلامية في تأسيس الدعاة على التمسك بالقرآن الكريم.

فلماذا حرصت الحضارة الإسلامية على ذلك؟

أولاً: الاستجابة لأمر الله وتحقيق محبته:

أمر الله تعالى بالتمسك بالقرآن الكريم، فقال: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف: ٤٣)، فمن تمسك به فقد استجاب لأمر ربه، وهو دليل على محبته سبحانه وتعالى، وفي هذا يقول عبدالله بن مسعود: من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله، فليعرض نفسه على القرآن، فمن أحبّ القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله، وقال سفيان بن عيينة: لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله، فمن أحب القرآن فقد أحب الله عز وجل[٢]، فمن أعظم ما تحصل به محبة الله تعالى تلاوة القرآن مع تدبره.

ثانيا: الحماية من الوقوع في الضلال:

التمسك بالقرآن الكريم يطهر القلب ويحفظه من الهوى، ففي الحديث الشريف: «تركتُ فيكم أمْرَيْن لن تَضلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما؛ كتابَ الله وسُنَّةَ نبيِّه»[٣]، وقال ابن تيمية: إذا قرأ الإنسان القرآن وتدبَّره كان من أقوى الأسباب المانعة له من المعاصي[٤].

ثالثا: الحرص على رقة القلوب:

القرآن يرقق القلوب ويحميها من القسوة والغلظة، فعن وهيب بن الورد قال: لم نجد شيئاً أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلاباً للحق من قراءة القرآن لمن تدبره[٥].

رابعاً: الحرص على حفظ العقول:

القرآن الكريم يحفظ عقول أهله، ويجعلهم أكثر ذكاء وحكمة، فعن عبدالملك بن عمير قال: أبقى الناس عقولاً قَرَأَةُ القرآن[٦]، وقال ابن رجب: مَنْ جَمَع القرآن مُتِّع بعقله[٧].

خامساً: النبوغ في العلم:

قال ابن مسعود: إِذَا أَرَدْتُمُ الْعِلْمَ فَانْثُرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ(٨)، وقال كعب: عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب عهداً بالرحمن[٩]، وفي هذا دليل على أن حفظ القرآن أعظم معين على تعلم سائر العلوم، ولهذا كان المسلمون في الحضارة الإسلامية حريصون على تعليم أبنائهم القرآن، وكانوا لا يقدمون عليه شيئاً، يقول محمد بن الفضل: سمعت جدِّي يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة فلما عيَّدنا أذن لي[١٠].

سادساً: قضاء الحوائج وتيسير الأمور:

قال إبراهيم بن عبدالواحد وهو يوصي الضياء المقدسي لما أراد الرحلة للعلم: أَكْثِر من قراءة القُرآن، ولا تتركه فَإِنَّهُ يتيسر لَك الَّذِي تطلبه عَلَى قدر مَا تقرأ، قَالَ: فرأيت ذَلِكَ وجربته كثيراً، فكنت إِذَا قرأت كثيراً تيسر لي من سماع الحَدِيث وكتابته الكثير، وإذا لَمْ أقرأ لَمْ يتيسر لي[١١].

سابعاً: كثرة الخير والبركة:

التمسك بالقرآن الكريم يجلب لصاحبه الخير في الدنيا والآخرة، قال أبو هريرة: إن البيت الذي يتلى فيه القرآن يتسع بأهله ويكثر خيره وتحضره الملائكة وتخرج منه الشياطين، وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل يضيق بأهله ويقل خيره وتخرج منه الملائكة وتحضره الشياطين[١٢].

فإذا كانت الحضارة الإسلامية قد اعتنت بإعداد الدعاة على التمسك بالقرآن الكريم؛ فما أهم الوسائل التي اعتمد المربون عليها في ذلك؟

أولاً: الحرص على حفظ القرآن وتهيئة الأسباب المعينة على ذلك:

حرص المسلمون في الحضارة الإسلامية على حفظ القرآن الكريم، وتحفيظه أولادهم، قال ابن خلدون: اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهالي الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث[١٣]، وكان أبو منصور البغدادي يجلس لتعليم كتاب الله، حتى تخرَّج على يديه عدد كبير من قُرَّاء القرآن الكريم، وقد رُؤِيَ بعدَ مَوته: فقال: غَفَرَ الله لي بتعليمي الصِّبيانَ الفاتحة[١٤].

وقد اعتمد المسلمون في الحضارة الإسلامية نظام التحفيظ الإلزامي للقرآن الكريم، وهو ما يطلق عليه نظام «الكُتَّاب»، وقيل: إن أول من جمع الأولاد على حفظ القرآن الكريم عمر بن الخطاب، وأمر عامر بن عبدالله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم، وجعل رزقه من بيت المال، وكان منهم البليد والفهيم، فأمره أن يكتب للبليد في اللوح، ويلقن الفهيم من غير كتب[١٥]، وقال سهل بن عبدالله التستري: بعث بي أهلي إلى المكتب، وشارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم، ثم أرجع، فمضيت إلى الكُتّاب، فتعلمت القرآن، وحفظته، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين[١٦].

ثانياً: كثرة تلاوة القرآن الكريم:

ضرب الدعاة في الحضارة الإسلامية أروع الأمثلة في كثرة تلاوة القرآن الكريم، طلباً للأجر والثواب واستلهاماً للدروس والعبر منه، فحين حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها القرآن ثمانية عشر ألف ختمة[١٧]، وكان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظراً، ويقوم به الليل[١٨]، وقيل لأخت مالك بن دينار: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: تلاوة القرآن[١٩].

ثالثاً: الربط بين حفظ القرآن والعمل به:

قال أبو عبدالرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبدالله بن مسعود، وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً[٢٠]، وكان الصحابة ومن بعدهم يربطون بين الحفظ والعمل، حيث أخرج البيهقي عن ابن عمر قال: إنّ أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وكانت تنزل السورة من القرآن فيتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها[٢١].

رابعاً: التحاكم إلى القرآن الكريم في كل جوانب الحياة:

أمر الله تعالى بذلك في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وقد اتخذ الدعاة إلى الله تعالى القرآن دستوراً لهم، قال رجل لأبي بن كعب: «أوصني»؛ قال: اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكماً[٢٢].

إن التمسك بالقرآن الكريم يسهم في دفع الأمة الإسلامية إلى أن تتبوأ مواقع الخير والرشاد، وتنهض من الضعف والخذلان، فما أحوج الأمة إلى العودة إلى كتاب الله تعالى، ففيه شرفها وعزتها، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠)، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف).■

الهوامش

(١) سير أعلام النبلاء: الذهبي (٤/ ٢٠٧)، وصور من حياة التابعين: عبدالرحمن رأفت الباشا، ص ٤٤٣.
(٢) الرسائل: ابن رجب الحنبلي (٣/ ٣٢٩).
(٣) الموطأ (٢/ ٨٩٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٢٣).
(٥) حلية الأولياء (٨/ ١٤٢).
(٦) موسوعة ابن أبي الدنيا (٧/ ٥٧١).
(٧) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٠٠).
(٨) إحياء علوم الدين (١/ ٢٧٣).
(٩) حلية الأولياء (٥/ ٣٧٦).
(١٠) تذكرة الحفاظ، ص ٢٠٩.
(١١) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٢٠٥).
(١٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٧٤).
(١٣) مقدمة ابن خلدون (٢/ ١٠٣٨).
(١٤) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٢٤).
(١٥) الفواكه الدواني (١/ ٣٠).
(١٦) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٤).
(١٧) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٦).
(١٨) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٥٩).
(١٩) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٦).
(٢٠) تفسير الطبري (١/ ٨٠).
(٢١) السنن الكبرى (٣/ ١٧٠).
(٢٢) حلية الأولياء (١/ ٢٥٣).

حين نربي عقولاً تتأمل.. لا أعيناً تستهلك!

عثمان الثويني

ما بين لحظة وأخرى، تمر بنا مشاهد عظيمة، لا تحتاج إلى أكثر من وقفة سكون وسؤال بسيط: كيف خُلق هذا؟ ولماذا خُلق بهذا الشكل؟ ولكننا نعيش في زمن كاد يسرق من أبنائنا تلك الوقفات، ويملأ أعينهم بالشاشات، حتى أصبحت المخلوقات من حولهم مجرد خلفيات رقمية لا توقظ فيهم تعظيم الخالق ولا توقّفهم عند حكمته البالغة.

التأمل ليس رفاهية ذهنية نمارسها في وقت فراغ، بل هو شعيرة فطرية، ومقام من مقامات الإيمان، ومقدمة لطريق الإصلاح، ومن هنا، يبدأ دور الأسرة، فقبل أن نزرع فيهم حب التميز والنجاح، يجب أن نزرع فيهم دهشة التأمل، وسكينة التفاعل مع عظمة الله في كونه، كيف ينبت الزرع؟ كيف يبني الطير عشه؟ كيف يسير الليل ويأتي النهار دون خلل؟ هذه ليست أسئلة طفولية، بل هي أبواب للوصول إلى الإيمان العميق، ومداخل لتربية أمة تتفكر لا تستهلك، وتتعلم لا تكرر.

وحين نُربّي أبناءنا على التأمل، فإننا نوجه أنظارهم إلى الخالق قبل المخلوق، ونربط عقولهم لا بأسباب الأشياء فقط، بل بمن رتّب تلك الأسباب وقدَّرها بميزان لا يختل، حين يقول تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات)، فهو لا يدعونا إلى النظر المجرد، بل إلى البصيرة العميقة التي تُعلي من شأن الإنسان في فهم موقعه ودوره، لا في استهلاكه وتسطيحه.

الأسرة هنا ليست مجرد مرافقة للطفل في رحلته نحو المدرسة، بل هي المرسى الأول الذي تنشأ فيه روح التأمل، حيث يمكن للوالد أن يجعل من كل نزهة درساً في قدرة الله، ومن كل حدث سؤالاً يفتح للعقل آفاقاً، فقبل النوم يمكن للطفل أن يحدثنا عن أجمل شيء رآه في يومه وأثار إعجابه؛ عن النملة التي وجدها تحمل قوتها، أو عن شكل الغيمة الذي بدا له كالطائر، وعن شعوره حين رأى الهلال يرتفع وسط السماء، بهذا التمرين البسيط نكسر دائرة التبلد، ونحرّك فيهم نواة الإيمان.

ثم نأخذهم في رحلات خارج البيت لا للترفيه فقط، بل للربط بين العبرة والعظة، بين المشهد والرسالة، بين الطبيعة والغيب، ونقصّ عليهم القصص التي حملت في طياتها عبرة التأمل: كيف نظر نبي الله إبراهيم للنجوم والشمس والقمر ثم قال: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) (الأنعام: ٧٩)، تلك اللحظات من التأمل ليست لحظات شك كما ظن البعض، بل هي لحظات تفكر ترتفع بالنفس إلى مقام التوحيد والفطرة.

ثم نعلّم أبناءنا أن التأمل ليس فقط في الكون، بل هو مفتاح لفهم الإنسان نفسه، ليرى كيف خُلق بعينين ولسان وقلب، كيف يُعبر ويتألم ويفرح، وكيف أن الله أعطاه من الطاقات والقدرات ما يجعله قادراً على التغيير إن تفكر وتأمل وتعلم.

وبينما يتعلم الطفل أن يسأل: من خلق؟ ولماذا خلق؟ وكيف يعمل؟ فإنه يتدرّب أيضاً على مهارة عظيمة قلّ من ينتبه لها: الصبر، فالتأمل يحتاج إلى بطء وتروٍّ، وإلى إصغاء، وإلى تكرار السؤال، وإلى حب التفاصيل، ومن كان كذلك وهو صغير، نشأ على التروي قبل إصدار الأحكام، وعلى البصيرة قبل اتخاذ القرار، وعلى التوازن بين ما يراه بعينه وما يفكر فيه بعقله.

نحن لا نريد أطفالاً يحفظون الإجابات فقط، بل نريد جيلاً يطرح الأسئلة الصحيحة، فالتأمل لا يورث الخمول كما يتوهم البعض، بل هو الشرارة التي تسبق التغيير، كل عظيم بدأ من لحظة تأمل: في قمر، في نملة، في جناح طير، في عجلة تدور، في كلمة قيلت، والجيل الذي لا يتأمل هو جيل مهدد بأن يسير في الدنيا وهو لا يعرف وجهته، ولا يشعر بكرامته، ولا يملك ناصية قراره.

إننا حين نربّي عقولاً تتأمل، فإننا نبني أمة تتقن الإصلاح من داخلها، وتدرك أن طريق النهوض يبدأ من سؤال بسيط: كيف ولماذا خلق الله هذا؟ ومن هناك تبدأ الرحلة نحو التغيير، ونحو جيل يحمل مفاتيح الفهم وراية الاستخلاف.

فابدؤوا معهم من اليوم، علموهم أن الكون كتاب مفتوح، وأن في كل ورقة شجرة، وكل قطرة ماء، وكل صوت طير، آية من آيات الله، وستبكون فرحاً حين تسمعون صغيركم يوماً يقول: أبي، هل رأيت كيف أن الله جعل للنحل بيوتاً؟ كم هو عظيم ربنا! عندها فقط، ستعلم أن جيل التأمل قد بدأ بالقدوم. ■

المدرِّب المتألِّق (19)

ضرورة ممارسة التحدي والتنافس في قاعة التدريب

د. موسى المزيدي
مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

نستكمل في هذا المقال عرض وسائل التدريب الآسرة للمتدربين، والجاذبة لانتباههم، ونضيف هذه الوسيلة:

- ممارسة التحدي والتنافس في قاعة التدريب:

على المدرِّب المتألق أن يثير حالة من التحدي والتنافس بين المتدربين؛ وذلك لتثبيت القناعات في أذهانهم.

مثال (١): في دورة «مهارات العرض والتقديم» لجامعة الكويت، في أبريل ٢٠١٧م، تم تحدي المتدربين وتشجيع التنافس بينهم في ممارسة فن الإصغاء للآخرين، وتم عرض ٢٠ سؤالاً مبهماً، وكل سؤال في ظاهره يحتمل أكثر من إجابة، ولكن السائل يقصد إجابة صحيحة واحدة، والأمر يحتاج إلى إصغاء شديد من المتدرب ليفهم ما يقصده السائل، وإليكم بعضاً من هذه الأسئلة لتوضيح المقصد:

- كم متراً مكعباً من الرمل موجود في حفرة طولها يساوي متراً واحداً وعرضها يساوي متراً واحداً وعمقها يساوي متراً واحداً؟

من المتدربين من يقول: مقدار الرمل في هذه الحفرة يساوي متراً مكعباً واحداً، ولكن الإجابة الصحيحة لمن أصغى جيداً هي صفر، لأن الحفرة -بحسب تعريفها- تكون فارغة من الرمل!

- مزارع جمع ٤ كومات من العلف إلى ٥ كومات أخرى من العلف أيضاً، وجمعها كلها في مزرعته، فكم مجموع الكومات التي أصبحت لديه في المزرعة؟

من المتدربين من يقول: إنها ٩ كومات من العلف، ولكن الإجابة الصحيحة لمن أصغى جيداً هي كومة واحدة! لأن المزارع جمعها كلها في مزرعته في كومة واحدة كبيرة!

- طائرة جميع ركابها نمساويون، سقطت على الحدود بين النمسا وألمانيا، وكانت أقرب إلى النمسا منها إلى ألمانيا، أين يدفن الناجون بحسب قوانين الأمم المتحدة: أفي النمسا أم في ألمانيا؟

من المتدربين من يقول: إن الناجين يدفنون في النمسا؛ لأنها أقرب إليها، ولكن الإجابة الصحيحة هي أن الناجين لا يدفنون، بل نحافظ على حياتهم!

على المدرب أن يثير حالة من التحدي والتنافس بين المتدربين لتثبيت القناعات بأذهانهم

تكليف المتدربين بتمارين فيها تحدٍّ يجعلهم دائماً متحفّزين ونشطين طوال أيام الدورة

لذلك، طرح مثل هذه الأسئلة تبعث الحيوية والطاقة والنشاط في المتدربين أثناء الدورة.

مثال (٢): في إحدى الدورات التدريبية للصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية، بعنوان «الذكاء العاطفي طريقك إلى الترقية»، في ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١م، كنا نركز في هذه الدورة على أهمية التحكم بمشاعر الغضب وإدارتها، للمحافظة على العلاقات مع الآخرين، ومن الوسائل التي عرضت في هذا الأمر إحاطة المرء لنفسه بالهدوء لمدة دقيقة واحدة قبل التصرف، وإرغام نفسه على ذلك بالعد العكسي من ١٠٠ إلى ١.

تم تجربة ذلك عملياً من قبل بعض المتدربين في العد العكسي، وتحدى بعضهم بعضاً فيمن يضبط العد العكسي في دقيقة واحدة! كنت قدوة لهم في ضبط ذلك باللغتين العربية والإنجليزية!

مثال (٣): في إحدى الدورات التدريبية لمركز ابن الهيثم للتدريب أثناء الخدمة، بعنوان «المدرب المعتمد»، في ٣ فبراير ٢٠١٩م، تم تحدي المتدربين بتمرين الإلقاء المعتدل، حيث أعطي كل متدرب فقرة مكتوبة في ورقة، وطُلب منهم إلقاؤها أمام الجمهور بالسرعة التي قد تعوّدوا عليها، وتم إخبارهم سابقاً بأن أفضل سرعة في الإلقاء الذي تطرب له الآذان تتراوح بين ١٢٠ إلى ١٤٠ كلمة في الدقيقة، أما إذا انخفضت عن هذه السرعة أو زادت عليها؛ فإن الآذان قد تستوعبها، ولكن لا تطرب لها، فهناك فرق بين الاستيعاب والإطراب.

هناك من المتدربين من تجاوزت سرعات إلقائهم ٢٠٠ كلمة في الدقيقة، فكنا نقول لهم: خفف من سرعة إلقائك، فإن الجمهور سوف يصاب بالحيرة والدهشة من هذه السرعة، وهناك من المتدربين من قلّت سرعاتهم عن ١٠٠ كلمة في الدقيقة، فكنا نقول لهم: زد من سرعة إلقائك، فإن الجمهور سوف يصاب بالضجر والملل من هذه السرعة!

ثم بعد ذلك، طلبنا من الذين رصدوا سرعة في الإلقاء قريبة من ١٣٠ كلمة في الدقيقة أن يلقوا بكلمتهم أمام الجمهور؛ ليعرفوا معنى الاعتدال في الإلقاء، ولكي أكون لهم قدوة، طلبت من أحد المتدربين أن يستعمل ساعة الميقات لديه ليقيس سرعة إلقائي، فوجدوها ١٢٣ كلمة في الدقيقة!

من الرؤساء الذين يجيدون الإلقاء المعتدل الرئيس الأمريكي (الأسبق) باراك أوباما، حيث ألقى كلمة في الأزهر الشريف عام ٢٠٠٩م، وكانت سرعة إلقائه ٢٢٨ كلمة في الدقيقة.

ومن الرؤساء الذين لا يجيدون سرعة الإلقاء المعتدل الرئيس الأمريكي (الأسبق) جون كنيدي، حيث ألقى كلمته في أمريكا عام ١٩٦١م، وكانت سرعته ٣٢٨ كلمة في الدقيقة؛ استوعبتها الآذان، ولكن لم تطرب لها.

مثال (٤): إن من أقوى الطرق في حفر المعلومات بأذهان المتدربين ممارسة التنافس، وتكليفهم بمهمات فيها تحدٍّ.

ما زلت أتذكر اليوم الذي كلفني فيه رئيس مجلس إدارة الصانع للاستشارات الإدارية والقيادية في الكويت بمهمة فيها تحدٍّ كبير، وكان ذلك في عام ١٩٩٦م، حيث كلفني بالسفر إلى مدينة نيويورك للالتقاء بثلاثة أشخاص من شركة «كوبر لايبراند»، لاعتماد دراسة في جدوى بناء جامعة للبنات في مدينة أبو ظبي.

غادرت الكويت إلى مدينة نيويورك يوم الخميس صباحاً، وصلت إليها الساعة ٣ عصراً، بت ليلة واحدة في فندق ذي خمس نجوم، ثم غادرت الفندق في صبيحة اليوم التالي الساعة ٩، ثم دخلت ناطحة للسحاب وهي مقر شركة «كوبر لايبراند»، وعقد اللقاء الساعة ١٠ صباحاً في الطابق ٧٢ ولمدة ساعتين، ثم اعتُمدت الدراسة، وانتهت المهمة، ولم أجد طائرة ترجعني إلى الكويت إلا في مساء اليوم التالي، وصلت إلى الكويت صباح يوم الأحد.

رحلة فيها تحدٍّ كبير لي، وما زالت محفورة في ذهني، وكلما شعرت بفتور في همتي، تذكرت تلك الرحلة، كي أستعيد علوّ همتي!

وهذا ما يجعل المدرب المتألق يهتم بتكليف المتدربين بتمارين فيها تنافس وتحدٍّ، ليجعلهم دائماً متحفّزين ونشطين طوال أيام الدورة وساعاتها.■

لا لتعنيف الأطفال.. نعم لتأديبهم

أسماء السيد خليل

هناك فرق كبير بين تأديب الأطفال، الذي أمر به الإسلام، وتعنيفهم؛ فالإسلام يدعو إلى الرأفة بهم والصبر عليهم، قاصداً تنشئة أجيال سوية، قادرة على البناء لا الهدم، والعطاء لا المنع، وهو يقيم علاقة الأبوة والبنوة على أساس متين من البرِّ والترابط، والود والرحمة، وقد جعل لكل من الطرفين حقوقاً، وعليهما كذلك واجبات متبادلة.

من ثم، فنحن مع أي قوانين أو اتفاقيات أو معاهدات، محلية أو دولية، تراعي حقوق الآباء في إصلاح الأبناء وحسن تنشئتهم، وضد أي إجراءات أو سلوكيات تهين كرامتهم، أو تجرح مشاعرهم، أو تسبب لهم أي شكل من أشكال الأذى.

وإذا كانت المساعي الدولية تنكر حقوق الآباء على أبنائهم، وتعطي للأخيرين الفرصة للتمرد والفساد، فإننا نعتبر هذا سلوكاً شائناً وعجيباً، وأن وراءه ما وراءه من محاولات القضاء على أبنائنا ودفعهم دفعاً إلى العقوق والعصيان.

إننا مع اتفاقية «حقوق الطفل» الصادرة عن الأمم المتحدة عام ١٩٨٩م، التي جاء فيها: «تتعهد الدول الأطراف بأن تضمن للطفل الحماية والرعاية اللازمتين لرفاهه، مراعية حقوق وواجبات والديه أو أوصيائه أو غيرهم من الأفراد المسؤولين قانوناً عنه»، ومع «العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية» الذي جاء فيه: «تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد، باحترام حرية الآباء أو الأوصياء عند وجودهم، في تأمين تربية أولادهم دينياً وخلقياً، وفقاً لقناعاتهم الخاصة».

إن التأديب، كما يقول علماء السلوك، يحترم ذاتية الطفل ويحتويه، ويحافظ على العلاقة الإنسانية معه، ويزرع الثقة في نفسه، ويعينه على الضبط الذاتي، ويكون الطفل فيه مسؤولاً عن سلوكه الخاطئ.

والتربية الأساسية للطفل تتطلب تأديبه بآداب الإسلام ومكارم الأخلاق، وتعويده اجتناب المحرّمات وسائر السلوكيات والعادات السيئة، والبُعد عن قرناء السوء، وتعميق شعوره بالمسؤولية، ولن يكون ذلك إلا بالعقاب الصحي المشروع، مع اجتناب المبالغة في العقاب، ودوامه، ومع تقديم الزجر والتخويف على العقاب المادي، على طريقة الفاروق عمر رضي الله عنه، وهي الشدة في غير عنف، كما يقول: «علِّقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه أدبٌ لهم» (رواه الطبراني).

لقد ثبت أن عقاب الطفل بطريقة عشوائية تفسد نفسه، وتحطمها، إضافة إلى فشل المعَاقب في الوصول إلى مبتغاه من إصلاح سلوك المعَاقَب، بل قد يؤدي العقاب إلى تمرد الطفل، وربما انحرافه وخروجه من دائرة السيطرة الوالدية، وتتنوع طرق عقاب الطفل بطريقة تربوية كما يلي:

- النظرة الحادة التي تحمل أمارات اللوم والعتاب.
- الهمهمة الدالّة على غضب المربي وضيقه بسلوك معين.
- مدح الغير أمامه؛ لتصله رسالة مفادها أن ما قام به لا يلقَى القبول.
- الإهمال؛ ليعلم أن سلوكه يجلب له النقمة وعدم التقدير.
- الحرمان، وهو درجة أقسى من سابقتها، ويبدو فيه العقاب الحقيقي.
- الهجر والخصام، كدليل على عِظم ما ارتكب من خطأ، وما في هذا الإجراء من خطورة شرعية تنطوي على التخويف من عقاب الله.
- التهديد بالضرب، وإرهابه بالصراخ في وجهه؛ تخويفاً له، وفي هذا تنبيه له على أن الضرب ليس بعيداً عنه.
- وأخيراً الضرب، وهذه مرحلة لا ينصح باللجوء إليها إلا إذا تمادى الطفل في سلوكه المُعوَج، رغم ما دار معه من حوارات، ورغم ما نُفِّذ فيه من مراحل العقاب السابقة.

ويلاحظ عند الضرب ما يلي:

- نعرّف الطفل بأسباب ضربه، وهذا يعطيه فرصة أخيرة للتفكير، وربما انتزع منه الأب اعتذاراً أو وعداً بعدم العودة لما يفعل.
- أن يتجنب الضارب الوجه وأماكن الكسر، وألا يترك أثراً أو يخلّف عاهة.
- أن يكون الخطأ مستحقاً للضرب، وهذا يتطلب حكمة من الأب أو من يقوم بالضرب، فلا يكبِّر الصغيرة، ولا يفرِّط في الوقت ذاته، وإنما يعلم أن الضرب أمرٌ خطير في التربية، فلا بد أن يكون فعل الطفل على قدر هذه الخطورة.
- ألا يكون الضرب انتقامياً؛ إذ الفعل نفسه -أي الضرب- ولو كان رمزياً، فإنه كافٍ لحثِّ المخطئ على تصحيح أخطائه، وإلا فإنه مريض يستحق العلاج.

وتؤتي وسائل العقاب التربوي المنهجي أُكلَها، إذا اتُّبعت بعض الخطوات، مثل:

- غرس السلوكيات السليمة في نفوس الأبناء، قبل كل شيء.
- ألا يعاقب الأب ويحسم الموقف، ثم تتسامح الأم، فيضيع ما فعله الأب، فإن هذا السلوك يساعد في خلق شخصيات مترددة، غير ناضجة.
- ألا يعاقب الأبوان على أمر يفعلانه هما أو أحدهما، كأن يعاقب الأب ابنه المدخن، وهو لم يقلع عن هذه العادة السيئة.
- عندما يخطئ الطفل نوضح له خطأه، فإذا كرره نصبر عليه ولا نتعجل العقوبة.
- أحياناً يخفي الطفل سلوكاً شائناً قام به، المفيد -أحياناً- تجاهل هذا السلوك، ففي إخفائه له دليل على أنه يسبب له حرجاً، وأنه مقلعٌ عنه يوماً ما، فلا تُعِن الشيطان عليه.
- يستحب عدم الإكثار من التوبيخ، أو التهديد، فإذا هدد الأب مرة فيجب أن ينفذ تهديده، كما يستحب ألا يهدد بأمور وهمية.
- الإثابة على الأعمال الناجحة، وعدم تخويف الطفل بالفشل، يدفعانه إلى اجتناب ما يغضب الأبوين، كما يحثّانه على تعزيز إيجابياته، والثواب عموماً أكثر فائدة من العقاب. ■

دعوة للإنجاز في وقت الأزمات (6)

مراحل الخروج من الأزمات بإنجازات

د. زهير منصور المزيدي
مدير عام الشبكة الدولية للقيم

إن الخروج من الأزمات أمر يتطلب المرور بعدد من المراحل التي تستوجب على الفرد السعي الحثيث، للتخلص من هذه الأزمات بإقرار الأضرار الممكنة، ومن تلك المراحل المهمة التي يجب على الشخص أو المؤسسة خوض غمارها، ما يلي:

١- التعامل مع المحيط والموجودات من حولك، كما لو كنت لأول مرة تعرفها.

٢- التسلح بالأمل وعدم الانهزام وقبول التحدي من أجل الاستمرار، حتى لو تكرر السقوط.

٣- الدافع الروحي الذي يجعلك تؤمن أن كل ما تقوم به إنما هو عبر ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧)؛ وعليه فالبالون الغزاوي هو بالفعل أقوى أثراً من المدفع.

٤- المواءمة مع الظرف المحيط أولاً، ثم عبر هذه المواءمة الانطلاقة نحو الإنجاز.

٥- مفهوم «الإنجاز» يكمن في الارتقاء الذي وصل إليه حتى وإن صغر.

٦- أن تؤمن أن ثمة مسارات لا حصر لها للوصول للهدف، فإن لم توفق في مسار فثمة مسارات أخرى تنتظر الاستكشاف.

٧- أن تستمتع بما أنت فيه من عمل استكشافي، ولا تجعل الهم ينتزعك نحو الأسفل فتخنع.

٨- حفّز من حولك بقصص من تمكن من الخروج من أزمته وهو في البحر دون قارب؛ متشبثاً بخشبة، أو صار في حفرة لم يتمكن من الخروج منها على مدى شهر، أو من تمكن من أن يقطع صحراء ثلجية شاسعة دون مؤونة على مدى أسبوعين، أو ذاك الذي صنع طعاماً له مما هو متاح له من الكائنات من حوله.

٩- أن تؤمن من أن ثمة أدوات مع كل ظرف محيط، فما عادت تلك الأدوات التي اعتدت عليها حال الرخاء حاضرة، وعليه تعرف على أدواتك الجديدة كي تستعملها في صناعة إنجازك.

١٠- أن تتعامل مع عامل الوقت بأسلوب مغاير عما تعلمك به الساعة والأيام، فإن كانت أدواتك السابقة تختزل لك الوقت فتنجز أعمالك في دقيقة أو ساعة، فلقد صارت أعمالك في الظرف الحالي تنجز في مدى زمني؛ الدقيقة فيه ستصبح ربما ساعات والساعة أياماً، بل أسابيع.

١١- أن تؤمن أن الحياة مليئة بالأحجيات والألغاز، والأصل فيها هو أن تتجاوزها لتظفر بالإنجاز، فما الأزمة التي تحيط بك إلا نوع من أنواع الأحجيات، فتعامل معها برفق، واستمتع بالخوض في حلها، واحذر من أن تجعلك مضطرباً أو منهزماً، بل كافئ نفسك يومياً بما تعلمته ولم تكن تعرفه من قبل.

١٢- ليكن ضمن دافعك في الإنجاز سعيك لهؤلاء الذين يعيشون في الغابات، وانقطعت بهم سبل التعلم والنهوض بالصناعات، أو مع أولئك الذين يعيشون في الجبال وحرمتهم المسافات أن يطوروا ما ينجزون أو ما يصنعون.

ولكن يجب ألّا ننسى أن لكل إنجاز عدداً من الضوابط والمسارات، ومن تلك الضوابط الحاكمة ما يلي:

١- الظرف المحيط بالأزمة: إن البيئة ونظام العمل في بريطانيا كان يسمح للتكامل، كما أنه مرن في تفويض منظمات المجتمع المدني بمشاركتها في إدارة شؤون البلاد، وهذا لن نجده في بلد فقير، حيث البيروقراطية والفقر والتسلط الحكومي، أو ظرف بيئة دولة قد مزقتها الحرب.

٢- جغرافية البلد: بلاد تضاريسها يغلب عليها الرمال الصحراوية سيختلف التعامل فيها مع الأزمات عن بلد باردة ويكثر فيها معدل سقوط الأمطار والثلوج.

٣- شكل النظام السياسي: فالظرف المحيط بالمؤسسات الأمريكية يختلف عن الظرف المحيط بالمؤسسات في الصومال، الاختلاف يكمن في الدعم والأنظمة والتشريعات المحيطة.

٤- شكل التكنولوجيا (المتاحة): التكنولوجيا «الإسرائيلية» تفوق الفلسطينية في الهجوم والدفاع، وعليه لاحظنا تعاملاً مختلفاً فيما بين الطرفين حيال ما يواجههما من أزمات.

٥- موارد الدولة الطبيعية: زراعة، معادن.. إلخ، فدولة مثل الفلبين أو بنغلاديش، حيث الخضرة والغابات تختلف عن تلك التي في الجزيرة العربية، حيث المساحة الأكبر للصحراء.

٦- إدراك نوع الاحتياج: ومدى إتاحة المواد، والبنية التحتية اللازمة للإنجاز؛ إن عدم وجود بنية تحتية لا يعني عدم توفر عناصر الإنتاج، فالاحتياج في دول أفريقيا الفقيرة يكون للماء بالدرجة الأولى، في حين يكون الاحتياج في بنغلاديش حيث المدارس العائمة للتراب.

وإن المتأمل في ظلال معاني اللفظة النبوية «فليغرسها» إذا جاءت الساعة، في الحديث النبوي، سيجد عدداً من الحقائق المهمة، ومنها:

١- أنها تشير لعمل ليس بالضرورة جماعياً.

٢- أن يكون الفرد مستعداً وبحوزته مشروع ما.

٣- الغرس يحتاج لثلاث خطوات: منتج (مشروع)، حفر (مجازي) تتعدد معانيه، مجهود للغرس.

٤- ليس بالضرورة أن يكون مستوفياً للجدوى الاقتصادية، أو لدراسة الأخطار.

٥- التوكل على الله أصل ثابت عند الغرس، والإيمان بما في يد الله عنصر أساسي في الإنجاز مع الله فيما غرست، مع علمك أنه قد لا يستفيد أحد من البشر مما غرست، لكنك تجسد علاقة استسلامك وامتثالك (في تلك الساعة).

٦- ثمة علاقة مع الظرف والسرعة أي أن تكون أبداً على أهبة الاستعداد. ■

كيف نستمتع بتربية أولادنا؟ (1)

ماهية التربية

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية

أستاذي الكريم د. يحيى، جزاكم الله خيراً وفريق مجلة «المجتمع»، على دعمكم للأسرة المسلمة، الحمد لله نحن زوجان منَّ الله عليهما بنعم جمة، ومنها الذرية؛ حيث توجت بها سعادتنا، وقد بذلنا جل الجهد لحسن تربيتهم، لا ندخر جهداً أو نفقة في ذلك، سواء البرامج التعليمية أو الثقافية أو الرياضية، كما أننا نتابع مع أحد الأطباء المتخصصين؛ لأن أحدهم يعاني من اضطراب الحركة المفرطة والتشتت وعدم التركيز رغم ذكائه الفذ.

ورغم كل تلك الجهود، فإن حياتنا تحولت إلى جحيم! نعم نتيجة المتابعة الدراسية والقيمية والإجهاد البدني والضغط النفسي، حتى انعكس ذلك على علاقتنا كزوجين، حيث تنصبّ خلافاتنا في منهجية تربيتهم، كما أن نتيجة تقصيرهم عن أداء التزاماتهم سواء الدراسية أو السلوك المنضبط ساءت علاقتنا بهم، حيث إنهم لا يعطوننا فرصة لتهدأ أعصابنا ونتبادل معاً التعبير عن حبنا لهم، أو نشيد بهم؛ لأنهم دائماً مقصرون، فكيف لنا أن نجلس معاً ونتسامر؟!

نصدقك القول: إننا نتابع إرشاداتك الطيبة، ولكن في ردك على إحدى المشكلات التربوية قلت للوالدين: «استمتعا بتربية أولادكما»! هل لك أن تعيش واقعنا لترينا كيف تستمتع بتربية الأولاد؟

التحليل

نعم، من المؤكد أنه ليس سهلاً أن نستمتع بتربية فلذات أكبادنا، ولكنه غير مستحيل، كما أنه من المفهوم الإسلامي منطقي وطبيعي، كما سنوضح بمشيئة الله، قد أتناول ذلك في عدة حلقات لأهمية ومسؤولية وقيمة التربية من المفهوم الإسلامي.

١- بعض المفاهيم الأساسية حول التربية.
٢- محاور التربية.
٣- الإطار العام لمنهجية التربية.
٤- المنهج الإسلامي التربوي.
٥- نماذج من الهدي النبوي التربوي.

أولاً: بعض المفاهيم الأساسية حول

التربية:

التربية نشاط تفاعلي بين المربي والمربَّى، وبما يتناسب والبيئة التربوية والموقف التربوي، بهدف توليد الدوافع واستثارة الرغبة لدى المربَّى نحو التزود المعرفي واكتساب وتطوير المهارات وإطلاق القدرات الروحية والعقلية والوجدانية والبدنية، وبما يتناسب والسمات النفسية والبدنية والعقلية للمربَّى والإبداع في ذلك، ونظراً لأهمية فهم معنى التربية، سأتناول شرح كل محور بإيجاز.

أ- النشاط:

- لفظي: ليس المهم فقط الألفاظ المستخدمة، بل نبرة الصوت ومدى حدته وطريقة الخطاب، والتأكيد على بعض الكلمات، وطبيعة الانفعال اللفظي.

- بدني: إن لغة جسد المربي من نظرة عيونه وتعابير وجهه وحركات يديه ومدى مواجهته للمربَّى، قد تكون أكثر تأثيراً من الكلمات التي يوجهها للمربَّى.

- الحالة النفسية للمربي: نعم تعتبر الحالة النفسية أحد أنواع الأنشطة التربوية، حيث يستشعرها المربَّى حتى قبل أن يبدأ المربي حديثه ويتأثر بها، ثم تأتي قراءته وفهمه للغة جسد المربي عادة لتأكد لديه ما تلقاه من مشاعر سلبية أو إيجابية.

ب- النشاط التفاعلي:

التربية ليست تفريغاً لانفعال المربي أو سلسلة من الأوامر والمواعظ، أو تهديداً بعقاب، أو لوماً، أو غير ذلك من أنماط التربية العقيمة يلقيها المربي على المربَّى وكأنه آلة صماء، ولكن على المربي أن يفهم ما يدور بنفسية وعقلية المربَّى من خلال التعرف إلى حالته النفسية ولغة جسده وألفاظه وتفهم رد فعله على كل نشاط تربوي وجِّه له، وبحيث تتناسب الخطوات التربوية مع كل رد فعل للمربَّى.

جـ- الموقف التربوي:

هو تفاعل ونتاج بين:

- الحالة النفسية للمربي ودوافعه التربوية (العقاب/الإشادة كأحد منهجيات التلقين، الحث/التحذير من فعل، التدريب على المناقشة أو أبداء الرأي..).

- الحالة النفسية والإدراكية للمربَّى.

- البيئة التربوية: ويقصد بها الإطار النفسي الذي حدث فيه الموقف التربوي (المنزل، المسجد، السوق، المربي مع المربَّى منفردين/مع بيئة داعمة للمربَّى/ أقرانه..).

د- أمر/نهي أم توليد الدوافع واستثارة الرغبة لدى المربَّى؟

ما أسهل على المربي أن يأمر أو ينهى المربَّى! ولكن ما لم تتولد القناعات لدى المربَّى بقيمة أثر ما أُمر به أو ما نُهيَ عنه فإنه إما يرفضه أو يتفلت منه أو يفعله خوفاً من العقاب أو طمعاً في الثواب، وسيحتاج المربي إلى الاستمرار في الأمر أو النهي، وبذلك لم يحقق الموقف التربوي الغرض منه.

أما استثارة الرغبة لدى المربَّى من خلال القناعات (الدينية، العقلية، المنفعية، الوجدانية، النموذج، الصحبة، الصورة الذهنية عن الذات) تستغرق وقتاً وتحتاج إلى تفهم طبيعة شخصية المربَّى وميوله وقدرة من المربي على الحوار والإقناع، ولكنها تربي وتبني شخصية تدير حياتها من خلال ما تكتسبه من معارف خلال الحوار، وتكون تصرفاتها من خلال قناعاتها وليست تحت ضغوط خارجية.

هـ- الاهتمام والتركيز على الفعل أم الاهتمام والتركيز على التزود المعرفي واكتساب وتطوير المهارات وإطلاق القدرات؟

إن تصرفاتنا محصلة منظومة معارفنا التي تطلق قدراتنا فنعبر عما نريد بمهارات جوارحنا، فإن اهتم المربي وركز على الفعل دون أن يبني ويطور منظومة المعارف المرتبطة به ويفعِّل القدرات اللازمة له وينمي مهارات التعبير عنه، فإن المربَّى قد يفعل المطلوب منه دون أن يكتسب الخبرات الحياتية بذاته؛ لأن، كما سنوضح، التربية تراكمية.

و- شمولية التربية:

يجب أت تتضمن التربية كل محاور الإنسان:

- الروحية:

التأكيد على علاقة المربَّى بالله تعالى وحبه له سبحانه، والشعور بقبس من آلائه، عقيدة سليمة والاهتمام بفقه المقاصد ويُعلم كما يُعلم فقه أداء العبادات، القرآن: نقرأ لنفهم، نفهم لنتدبر، نتدبر لنعمل وندعو، نولد لدى المربَّى المسؤولية عن الأمة ليكون قيمة مضافة، وبرنامج شامل متكامل للحياة بالقرآن والسُّنة المطهرة.

- العقلية:

العقل من النعم الجليلة، تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل لتدريب المربَّى على تنمية وتطوير قدراته العقلية؛ لذا كثيراً ما نكرر: «أسأله ولا تلقنه».

- البدنية:

إن البدن أمانه سنسأل عنها، مهما قرأنا عن نموذج الحياة الصحية إلا أن النشأة تؤدي الدور الرئيس في نمط حياتنا الصحية.

- الوجدانية:

إن الشعور بالحب وتبادله بين المربَّى والمربي ليس فقط مفتاحاً للتربية، بل هو احتياج نفسي كما نحتاج للأكسجين للحياة، رغم قيمة القناعات سواء أكانت دينية أو عقلية أو منفعية أو عقلية، فإن القناعات الوجدانية تمثل المقدمة لكل باقي القناعات، وتعتبر التربية الوجدانية من أكثر أنواع التربية حساسية وتأثيراً، خاصة وأنها مرتبطة بالوالدين، حيث يمكن لهما توكيل مربين ثقة لباقي أنواع التربية، ولكن هل يمكن للوالدين توكيل من يحب أولادهما نيابة عنهما؟ أيضاً يجب على كل مربٍّ (مدرس، شيخ، مدرب رياضي..) أن يولد الحب بينه وبين من يتولى أمانة تربيتهم، ولكن يظل ما يتلقاه الأولاد من حب ورعاية وجدانية من والديهم، وكذلك تعبير الأولاد عن حبهم لوالديهم هو العامل الأكثر تأثيراً في نموهم الوجداني، والأهم من كل أنواع التربية لأنه هو مفتاحها جميعاً.

ز- هل يوجد نموذج تربوي عام، أم أنه يجب أن يصاغ بما يتناسب والسمات النفسية والبدنية والعقلية للمربَّى وكذلك البيئة التربوية؟

لا يمكن أن يكون هناك نموذج تربوي عام يمكن لكل مربٍّ أن يطبقه على كل من يتولى أمانة تربيتهم، لأن لكل إنسان بصمة نفسية خاصة به منفرداً، كما أنه لا يمكن صياغة نموذج تربوي للمربَّى يمكن اتباعه، حيث إن البصمة النفسية لذات الإنسان تتغاير من وقت لآخر؛ ولذا يجب على المربي أن يصيغ النموذج التربوي المناسب للسمات النفسية للمربَّى وكذلك إمكانياته البدنية وقدراته العقلية.

- الإبداع:

من المهم بمكان أن يلم المربِّي بالمعارف التي تمكنه من أداء هذه الأمانة العظيمة، وكذلك اكتساب وتنمية المهارات والقدرات اللازمة لطبيعة المرحلة التربوية المنوطة بها مسؤولياته التربوية، وهنا من المهم أن نركز على أنه مهما قرأنا من كتب تربوية وحضرنا من محاضرات وشاركنا في ورش عمل.. فكل ذلك رغم أهميته، فإنه لا يغني عن الإبداع! نعم المربي الناجح لا يستفيد فقط من تجارب الآخرين وأفكار المتخصصين، ولكنه يبدع في تربيته بما يتناسب والمهمة التربوية التي يؤديها.■

المحدِّث الصغير!

"سيناريو: أمين حميد
رسوم: عصام الشرقاوي

بخطوات كلها ثقة وبابتسامة كانت تنافس ضوء الشمس، كان الفتى عثمان يتقدم إلى منصة الإذاعة المدرسية ليلقي كلمة الطابور الصباحي يحث فيها زملاءه على التحلي بمكارم الأخلاق في تعاملهم مع معلميهم وزملائهم الطلاب.

وقد كانت كلمة بليغة انتقى كلماتها بعناية نالت استحسان الأساتذة والتلاميذ، غير أنه ختم الكلمة بقول نسبه للرسول صلى الله عليه وسلم، بينما هو في الحقيقة حكمة شائعة؛ ما جعل مدرسي التربية الإسلامية كل منهم يحدق في الآخر مستغربا كيف يقع عثمان في خطأ كهذا!

وبمجرد أن توجه عثمان مع زملائه إلى فصلهم الدراسي لحقه مدرس التربية الإسلامية الذي صادف أن حصته هي الأولى في ذلك اليوم، وقبل أن يشرع في الدرس طلب من التلاميذ أن يتحدث إليهم عن كلمة اليوم.

في البداية، شكر التلاميذ على إعدادهم الجيد لإذاعة الطابور الصباحي وعلى إلقائهم الجيد لفقراته، ثم خص بالشكر الطالب المتميز عثمان، غير أنه توجه بالحديث إلى عثمان وقال له: لي ملاحظة مهمة على كلمة اليوم سأوجهها لك ولبقية زملائك:

أحبائي التلاميذ، تعرفون مكانة السُّنة النبوية في الإسلام، وكونها المصدر الثاني للتشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم، ولأهميتها فقد ألزمنا الله سبحانه بالعمل بها في آيات عديدة، منها قول الله عز وجل: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) (الحشر: ٧).

قال أحمد، الذي كان في الصف الأول يسمع للمدرس بإنصات: وأنا سمعت والدي يخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نضَّر الله امْرَأً سمِع مقالَتي فوعاها وحفِظها وبلَّغها، فرُبَّ

حامل فقه إلى من هو أفقهُ مَنه» (رواه الترمذي).

قال الأستاذ: أحسنت يا أحمد.

قال عثمان: ولكن يا أستاذ، كيف أعرف أن الحديث صحيح أو غير صحيح؟

قال الأستاذ: هناك كتب جمعت الأحاديث الصحيحة بحيث إن كل ما فيها صحيح.

قال عثمان: وما أبرز تلك الكتب التي يمكن الثقة بكل ما فيها من حديث؟

قال الأستاذ: يأتي على رأس قائمة تلك الكتب كتاب الإمام البخاري رحمه الله، ثم كتاب الإمام مسلم رحمه الله، وهما أصدق الكتب بعد كتاب الله تعالى.

قال عثمان: وأيهما أكثر صحة يا أستاذ؟

قال الأستاذ: أصح كتاب بعد كتاب الله هو صحيح الإمام البخاري على الإطلاق.

قال عثمان: إذن، سأطلب من والدي أن يشتري لي كتاب البخاري وأعكف على قراءته حديثاً حديثاً حتى أنتهي منه إن شاء الله.

قال الأستاذ: فكرة رائعة، وإذا استطعت أن تحفظ من كل باب حديثاً تكون قد ألممت بمعظم أبواب الفقه والمعاملات والأخلاق والمواعظ.

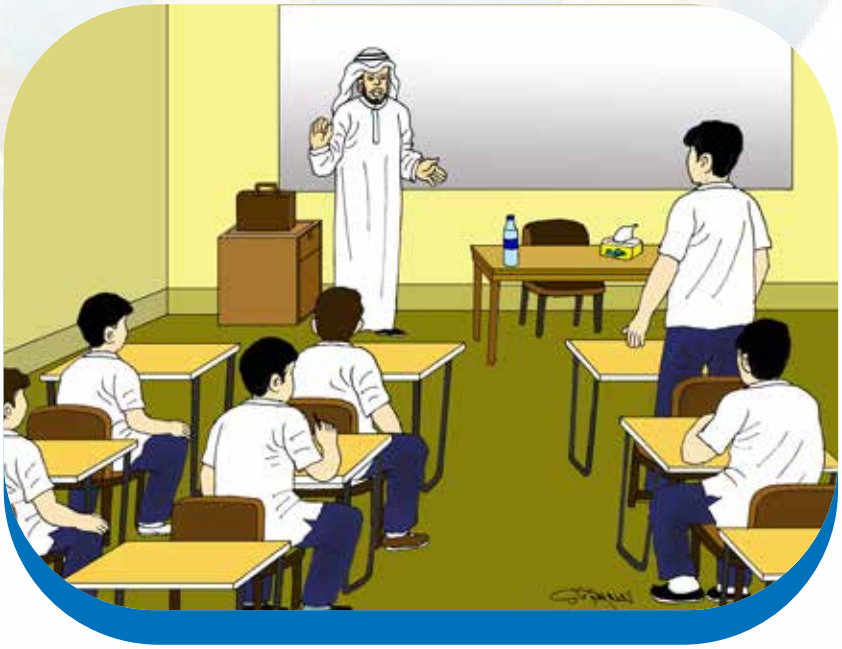

قال أحمد: وتستطيع أن تلقي الحديث على مسامعنا في الإذاعة الصباحية أو في أي مكان وأنت مطمئن أنه صحيح، بل وفي غاية الصحة.

قال الأستاذ: وإذا واجهك أي لفظ أو معنى غير واضح فبإمكانك المجيء إليَّ لشرحه وتوضيحه، أو الاستماع لبعض شروح الحديث لبعض العلماء الثقات الذين لهم شروح على «يوتيوب».

قال طالب في نهاية الفصل: ولماذا لا نصنع نحن أيضاً مثل عثمان؟

التفت إليه الطلاب وقد لمعت في عيونهم نظرات الاستحسان، ثم قالوا للأستاذ: لن نحرم أنفسنا نحن أيضاً من هذا الخير، وسنجعل صحيح البخاري بحول الله في طليعة الكتب التي نطالعها بعد كتاب الله، وكما نحفظ في كتاب الله فسوف نجعل لسُنة نبيه صلى الله عليه وسلم حظاً من الحفظ.

قال الأستاذ: أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لهذا الخير، وسأكون معكم في هذا المضمار الذي نتسابق فيه على حفظ كتاب الله وحفظ سُنة نبيه عليه الصلاة والسلام.■

مسوِّغات استمرار دعم غزة

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

إن المطلوب اليوم استمرار دعم غزة لعظم المسوّغات التي منها استمرار الإبادة الصهيونية الظالمة المجرمة بحق أهل غزة من سفك الدماء وهدم البيوت والقتل الجماعي والفردي بشكل لم يمرّ على البشرية مثله منذ قرون؛ (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) (النساء: ٧٥).

والمخطط العالمي الظاهر والمخفي لتهجير أهل غزة وإخراجهم من ديارهم وأموالهم وإقناعهم بترك أرضهم وبيوتهم وإغرائهم وفتنتهم؛ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال: ٧٣)؛ في التفسير الميسر: والذين كفروا بعضهم نصراء بعض، وإن لم تكونوا -أيها المؤمنون- نصراء بعض تكن في الأرض فتنة للمؤمنين عن دين الله، وفساد عريض بالصد عن سبيل الله وتقوية دعائم الكفر.

وقال السعدي: لما عقد الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم الكفر فبعضهم أولياء لبعض فلا يواليهم إلا كافر مثلهم، وقوله: «إِلَّا تَفْعَلُوهُ»؛ أي: موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم، أو واليتم الكافرين وعاديتم المؤمنين؛ «تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»؛ فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض.

شبح المجاعة:

ووسط تفاقم المجاعة في القطاع، قال المكتب الإعلامي الحكومي: إن خطر الموت يهدّد مئات الآلاف من السكان، في مقدمتهم أكثر من ٦٥٠ ألف طفل دون سن الخامسة.

وأوضح البيان أن قوات الاحتلال «الإسرائيلي» تواصل إغلاق جميع المعابر ومنع دخول المواد الغذائية والطبية والوقود في واحدة من أشدّ جرائم الحصار الجماعي في العصر الحديث.

من جهتها، كشفت مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان أن قرابة ٨٠٠ فلسطيني، استشهدوا خلال الأسابيع الستة الماضية أثناء محاولتهم الوصول للمساعدات في غزة.

وأوضحت المفوضية أن ٧٩٨ شخصاً لقوا حتفهم، بين أواخر مايو و٧ يوليو، أثناء سعيهم للحصول على المساعدات بينهم ٦١٥ شخصاً سقطوا في محيط مواقع توزيع المساعدات التابعة لمؤسسة غزة الإنسانية المدعومة من الولايات المتحدة و«إسرائيل» التي باتت تحل عملياً محل شبكة الإغاثة التي تقودها الأمم المتحدة. (النهار، ٥٥٤٢).

وأخوّتنا الإيمانية تقتضي الاستمرار في دعم غزة فخير الأعمال أدومها وإن قلّ، وألا ينام أحدنا شبعان وجاره جائع وهو يعلم، ونحن نعلم بالصوت والصورة والخبر أن إخواننا في غزة يتضورون جوعاً، ومن أحب الأعمال أن تطرد جوعاً عن مسلم؛ «أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخلُه على مسلمٍ، تَكشفُ عنه كُربةً، أو تقضي عنه دَيْناً، أو تَطرُدُ عنه جوعاً..» (صحيح).

وسد الجوع وإطعام الطعام طريق من طرق الجنة؛ (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان: ٨).

مَن يشتري الدارَ في الفردوسِ يَعْمُرُها
بركعةٍ في ظلامِ الليلِ يُخفيهَا
أو سَدِّ جَوْعَةِ مسكينٍ بِشَبعَتِه
في يومِ مَسْغَبَةٍ، عَمَّ الغَلَا فيه

ألا فلتستمر حملات التبرعات لغزة العزيزة المجاهدة، بلا كلل ولا ملل؛ احتساباً للأجر والثواب، وتثبيتاً للمؤمنين، وإغاظة للكافرين، وعملاً بروح الشريعة والدين ومرضاة لرب العالمين.

اللهم اجعل لإخواننا المسلمين في غزة من كل هَم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، أطعمهم من جوع، وآمّنهم من خوف، واسقهم من ظمأ، وقوّهم من ضعف، وهدهم وسددهم، وعافهم واعف عنهم، وانصرهم على القوم الكافرين.

والحمد لله رب العالمين، والله أكبر ولله الحمد. ■

جمعية التكافل
Takaful Society
لرعاية السجناء

20 عاماً من العطاء

إنجازات التكافل

مساعدات السجناء والغارمين

18,383 ألف مستفيداً.. بمبلغ **14,800** مليون

مشاريع أسر السجناء

15,815 أسرة مستفيدة.. بمبلغ **3,600** مليون

- مشروع الرسوم الدراسية
- مشروع إفطار صائم
- مشروع رحلة العمرة
- مشروع كسوة الشتاء
- مشروع توزيع الأضاحي
- مشروع سلال غذائية

24834414 94064060 @Takaful.Association
www.altkaful.com info@altkaful.com @altkaful

ج/ت ج د/2025/2

نمـاء الخيريـة
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي

إنجازات نماء الخيرية

خارج دولة الكويت

26 دولـــة

6,642 مشروع

3,392,791 مستفيد

1888833

نهتـم بالإنسـان